# عبقرية الحب فى الشعر العربى المعاصر

## دراسـة ومختارات

إعداد

أيـمـن تـعيلـــب

أستاذ النقد الأدبي

جامعة قناة السويس

**دار العلم والإيمان للنشر و التوزيع**

تعيلب ، أيمن .

عبقرية الحب في الشعر العربي المعاصر / أيمن تعيلب .- ط١.- دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

١٨٤ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .

٨١١.٠١

ت . أ

تدمك : ٩٧٨ – ٩٧٧ – ٣٠٨ – ٤٩٠ - ٥

١. الشعر العربي – مصر . ٢. الأدب العربي – تاريخ ونقد

أ - العنوان .

**رقم الإيداع : ٢٥٧٥٧.**

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com

elelm_aleman@hotmail.com



٢٠١٥

# الإهــداء

إلي أمي:

فقد علمتني شجاعة الحب، وكبرياء الاستغناء.

إلى نساء عرفنني معنى الحب والموت أيضا: سناء - فهيمة سامية - أميناتو - منى - إلهام.

إلى كل الذين أحبوني، والذين لم يحبوني أيضا لأنهم أحبوني على الحقيقة، ففى كل انكسار انتصار، وفى كل استغناء اغتناء، فمن أعماق الحد الأقصى للموت يولد الحب وينبت نوار الأمل .

أ.د أيمن تعيلب

# فهرس الموضوعات

# الفصل الأول

# عبقرية الحـــب

ما هو الحب ؟! سؤال غريب حقًا، فلماذا نسأل!! وكلنا يحب دون أن يسأل!! وكلنا يمارس الحياة دون أن يعرف سر الحياة، ودون أن يقف على حقيقتها، والذى يسأل عن معني الحب مثل من يسأل عن معنى النور، ومعنى الهواء والماء ؟ وهى أسئلة فى غاية السهولة والصعوبة معا، ولماذا نسأل عن معنى الحب؟طالما نحن نحب دون حاجة للسؤال أصلا؟!، وهل فرغت الحياة لحظة من معنى الحب حتى نسأل عنه!!نحن نمارس الحب مثلما نمارس الحياة بصورة عفوية، دون أدنى محاولة منا على أن نقف على حقيقة ما حدث؟ وربما نكون لا نحتاج أصلا إلى معرفة ذلك يكفينا أننا نحب فقط أو نحيا فقط!! ويكفى المسرور أن يحس بالفرح دون أن يعرف حقيقة الفرح!!ويكفيك أن تعيش فى نعيم النشوة، فهذا خير ألف مرة من سؤالك عن معناها، بل من الخير والخلق معا أن نعيش أكثر مما نسأل: كيف نعيش؟، فالحب نعيشه ونتنفسه قبل أن نحلله،ونمارسه قبل أن نتعقله، وربما نغار عليه بصورة شعورية ولاشعورية، فنحياه ونستغرق في أطيافه المخملية الشفيفة دون أن نضيع وقتا فنلتفت إلى معناه، وربما نستغرب أننا نتكلم عنه، وربما نقول لأنفسنا فى صمت يكفينا أننا نحب فقط.

الحب مثل النور، كل منا يراه ويحسه ويبتهج به، لكننا في النهاية لا نستطيع أن نصفه أو نقع على جوهره، أونمسك بتلابيب كهنه،أو نتعرف مسارات اتجاهاته أو منابع تدفقه،أوتنبؤات مجهولاته، فالحب حقيقة طليقة خالدة من حقائق الحياة الكلية المتناهية،ألا تظهرنا خبرتنا الشخصية على أن الحياة لا تبدو جميلة رقيقة ساحرة إلاَّ من خلال عيون الحب ؛ ألسنا نحس حين يرتفع عنا سحر الحب بأن أحلامنا وأفكارنا

وآمالنا ومقاصدنا وغاياتنا قد أصبحت جميعا خلوا من المعنى،صفرا من كل قيمة؛ وعندما يزرونا الحب نمتليء بالحياة والنشاط والرضا والفرح والأفكار والأحلام والغايات والقيمة، وإذن أفلا يحق لنا أن نقول إن الحب هو مركز الحياة وسر معناها، ومنبع السعادة، وسحر القيمة "(( وإذا كان الفلاسفة التقليديون القدماء قد درجوا – تحت تأثير الديانات القديمة – على اعتبار القيم ثلاثا ألا وهي: الحق والخير والجمال، فإن الفلاسفة المعاصرين لم يجدوا حرجا في أن يضيفوا إلى هذه الثلاث قيمة رابعة ، ألاَّ وهي الحب ، بل الحب هو الذي يخلع على تلك القيم الثلاث كل ما لها من قيمة، لأنه ماذا عسى أن يكون الحق دون الحب الحق، وماذا عسى أن يكون الخير دون حب الخير ،وماذا عسى أن يكون الجمال دون حب الجمال ... أجل إن الحب قيمة القيم ،

فإن القيم الأخرى لا تقوم بذاتها))(١)، فقيمة الحب تقوم بذاتها دون احتياج للقيم الأخري، بل هى التى تبرر قيام القيم الأخرى، والحب كما يقول مصطفى صادق الرافعي هو ((الجمال الأزلي يستعلن لكل إنسان بالوسيلة التي توافق مزاجه وتلائم تركيب نفسه على قدر ما يلائمه وعلى أحسن ما يلائمه))(٢) .

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فالجمال الأزلي نبع ربانى فياض يتجلى لكل المخلوقات والموجودات الحية وغير الحية فيبعث فيها حياة الحب، وشوق التلاقى، ولهفة الوصال، وسحر الامتزاج والدخول فى رحاب قوة مجال مغناطيسية الحب، فالحب قوة ربيعية كونية تسرى فى نسيج جميع الكائنات والموجودات والأشكال، فتتحرك الأشياء متجاذبة بعضها صوب بعض، ويتسرب حنان خصيب من جسد بعضها إلي جسد بعض بفعل قوة الحب الغلابة فالله محبة، وحركة الأجرام والمجرات والكواكب محبة وانبثاق روح الشجر صوب السماء شوقا للتعالي، وانسكاب زرقة النجوم فى القبة الزرقاء اللامتناهية محبة لسخاء الكون الوسيع،والتجاذب والتنادى بين الكائنات محبة، وكل وعي صادق،أوفهم أصيل هو نوع من المحبة العميقة، والاستبصار الروحى الرهيف بسر العلاقات المرئية واللامرئية بين الشىء والشىء، والموجود والوجود، من خلال التعاطف الخيالى القائم على المحبة والود والتمدد والاحتواء والثراء والانطلاق،فنحن لانستطيع الفهم الواعى البصير لأنفسنا وأنفس الآخرين من حولنا، وطبيعة الكائنات والموجودات، إلاَّ فى ظلال من التعاطف والود والتقدير الحى المخلص، بين ذواتنا وذوات الآخرين،وذوات الكائنات والموجودلات والتقمص الوجدانى البصير لحالهم ووجودهم،بل لانستطيع فهم العلاقة الجدلية المعقدة بين النظريات العلمية والواقع إلاَّ

فى ضوء من الفهم البصير الودود لكليهما معا، وكل القيم تقوم بغيرها إلاَّ الحب فهو القيمة الوحيدة التي تقوم بذاتها،أو هو القيمة التى تقوم بها كل القيم،أو هو الشئ الوحيد الذي لا يترك لمن يملكه (كما يقول وليام هازليت ) شيئا آخر يرغب فيه ، فطوبى إذن لمن أحب ، ثم طوبى لمن عرف إذا أحب كيف يولد لدى غيره الحب، وكيف يستشف فيمن حوله بذور الطيبة والخير والوصال، إن الإنسان لهو في حاجة دائما إلى أن يصدق

ويحب حتى يظهر ويتجلى، والحب هو الذي يكشف بذور الخير والجمال في كل مخلوق حتى في أشد الوجوه صلابة، وأكثر النفوس تفاهة، فيجعل منها بذلك مخلوقات جديدة بالحب ))(٣)يقول الشاعر الروسي (أوسترو فسكي):( قالت قطعة الجليد وقد مسها أول شعاع من أشعة الشمس في مستهل الربيع : أنا أحب ، وأنا أذوب ، وليسفي الإمكان أن أحب وأوجد معا : فإنه لابد من الاختيار بين أمرين : وجود بدون حب وهذا هو الشتاء القارس الفظيع ، أو حب بدون وجود ، وذلك هو الموت في مطلع الربيع)(٤) . ويرتفع جلال الدين الرومى بمشاعر عاطفة الحب إلى قمة روحية كونية سامية حتى ليرى عاطفة الحب نورًا مشعًا فى جميع نسيج الوجود من أقصاه إلى أقصاه:يقول الرومى:

سوف أخبرك كيف خلق الله الإنسان من طين ذلك أنه جل جلاله نفخفى الطين أنفاس الحب!

سأقول لك: لماذ تمضى الأفلاك فى مداراتها

ذلك أن عرش الله سبحانه وتعالى يغمرها بانعكاسات الحب

سأقول لك:لماذا تهب رياح الصباح؟

ذلك لأنها تريد أن توقظ بغزارة أزهار الحب!

سأقول لك:لماذا يتشح الليل بغلائله؟

ذلك انه يدعو الناس إلى الصلاة فى مخدع الحب!!

إننى أستطيع أن أفسر لك جميع ألغاز الكون

وما الحل الوحيد لكل لغز سوى الحب!!

فالحب يصعد من القلوب والعقول والأرواح والكائنات والأشياء والجمادات صوب نور السماء فينساح فى الكون الكبير،ويتماوج مع أسرار الأثير،ولعل تصور الرومى يذكرنا بتصور ابن الفارض فى الحب إذ قال مخاطبا هذه الروح الكونية المحبة المبثوثة فى الوجود كله:

إذا وقفت أصلـــي    يا قبلتي في صلاتي

إليه وجهت كلـــي    جمالكم نصب عيني

ونحن نحب فى جميع أحوالنا برغبتنا وإرادتنا،أوعلى غير إرادتنا ورغبتنا: الحب دائما يفجؤنا مجبرين أو مختارين، بل ليس ثمة وقت محدد يزورنا فيه الحب، حتى نسأل أنفسنا متى نحب أو متى يجب أن نحب؟،أو هل : أحببنا حين أحببنا مختارين أم كنا مجبورين؟!!فالحب وارث جميع المتناقضات،أوقل هو يذيبها ويصهرها فى بوتقة التصالح والرضا ويجعلنا نراها من منظور آخر تماما غيرما اعتادته عقولنا فى الرؤية والتفسير والإحساس، فهذا قبيح يحب حسناء ملحية ،وهذه غادة رقيقة غنية تحب فتى مليحا فقيرًا، وهذا فيلسوف عاقل يحب غانية جاهلة باالفكر مشتعلة بالحياة

على غير عقل أو رشاد، وهذا ليس جميلا تحبه فتاة جميلة والعكس صحيح أيضا، وإذا كان الفهم الشائع للحب أن الجمال هو المثير الأكبر لعاطفة الحب؛ فإن ذلك ليس صحيحا فى الواقع، فما يراه إنسانٌ جميلا لا يراه آخرُ جميلا، فقديما قالوا (مرآة الحب عمياء)، أى لا تخضع لمقاييس العقل والعرف والإجماع السائد المألوف، فالحب فجاءة مذهلة، واختطاف حلو جميل،وشىء يفهمه العقل لكنه فوق العقل،أو هو شىء قابل للتعقل لكنه غير قابل للعقلنة والتفسير والتحديد،أو قل هو شمس كونية تنير فى كل اتجاه يتخللها الغمام اللطيف الشفيف، تريك بعضها فى دلال ظاهر، وتخفى سرها فى دلال خفى، ولقد حزن بعض الفلاسفة القدامى عندما بلغه أن امرأة عوراء تحبه؛ فقال لولا أن بينها وبينى شبه ظاهري أو باطني ما أحبتنى!!ويحكى عن أن عزة حبيبة كثير دخلت يوما على الحجاج بن يوسف الثقفى فقال لها: ياعزة والله ما أنت كما قال فيك كثير، فقالت له:أيها الأمير،إنه لم يرنى بالعين التى رأيتنى بها !!

.وعلى حين عدد كثير من مؤلفى كتب الحب العربية الصفات الحسية والجسدية التى تساعد على تفجير عاطفة الحب فى القلوب، غير أن كثيرين آخرين عددوا الصفات الروحية والملامح النفسية والجسدية التى ساعدت على اشتعال شرارة الحب فى الصدور من أول نظرة، فنجد حوارات طويلة بين العقل والقلب والعين بشأن سبب وأصل الحب وأيهم كان السبب فى الحب!!لكننا فى كل الأحوال لا نعرف بالضبط لماذا نحب؟؟ولا نعرف بالضبط: هل نحب مختارين أم مجبرين؟، ولماذا نحب هذا الحبيب دون سواه مع وعينا الكامل بأنه ليس أفضل الناس فى كل شىء، يقول المتنبى:

وأسمع من ألفاظه اللغة التي ... يلذ بها سمعي ولو ضمنت شتمي

فقد اختلف العلماء والمفكرون والفلاسفة والشعراء في تفسير سر الحب : هل أمر الحب اختيار أم أمره إجبار ؟ أم هو اختيار إجبار ؟! أم اختيار وإجبار فى وقت واحد!! ومانسبة الاختيار فيه إلى نسبة الإجبار، يقول ابن حزم ((فأما استحسان الحسن وتمكن الحب ، فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه ، إذ القلوب بيد مقلبها، وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه المكتسبة ، وأما المحبة مختلفة ... وإني إنما أحببته لنفسي ، ولالتذاذها بصورته ، فأنا أتبع قياسي ، وأقود أصلي ، وأقفو طريقي في الرغبة في سرورها ، .... ( وأنت ) إن بذلت نفسك لم يكن اختيارا ، بل كان اضطرارًا ولو أمكنك ألاَّ تبذلها لما بذلتها)(٥) وهذا يعنى أن الحب معاناة روحية لطيفة غامضة تقع خارج قدرة العقل على التفسير والبرهان والتبرير . فكل منا مجبر مختارا وبصورة عفوية على اختيار ما يلائم طبعه ومزاجه وهواه ولهفات فؤاده،ومرامى روحه، ولعل كل شبيه منجذب إلى شبيهه، فشبه الشىء منجذب إليه،وربما يشير هذا التصور إلى فلسفة التلاقي الروحى القديم بين الأرواح فى العالم العلوى قبل أن تحل فى الأجساد على الأرض،وتقع فى تناقضات الأرض، وسدود العالم الدنيوى،فالحب يستطيع أن يفسر العقد القديم الأصيل بين الأرواح في العالم العلوي قبل فراق الأرواح لهذا العالم الذي كان يمثل بهجة خالصة، وفرحا محضا لايشوبه شىء من قلق أو وجع أو مادة أو اضطراب وتناقض

، ثم نزلت الأرواح إلي قفص التراب الأرضي تشقى وتتوجع وتتأوه، تتنازعها الأشواق، وتتجاذبها القلاقل حائرة بين طمحات الروح ، وأشواق المثال ، وضرورات الأرض وسدود التراب وجموح الروح، وطلاقة الوجدان !! ، ولقد صور ذلك ابن سينا في عينيته المشهورة : مجسدا حيرة الروح بين أشواق الروح ، وضرورات التراب .

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنـع

ولا تزال الأسئلة الجوهرية المصيرية فى الحب قائمة من وراء الدهور والعلوم والفنون حول طبيعة الحب ، ما هو الحب ؟ وما سبب وقوعه ؟ وكيف يقع ؟ ولماذا يقع ؟ وهل هو قضاء وقدر وإجبار أم إرادة وعقل واختيار ؟! وهل إذا أحب أحد أحدا كان على الطرف الآخر أن يبادله الحب بالضرورة؟،أم هناك حب من طرف واحد نعجز عن تفسيره،بل هناك من أحب فى الحلم وتألم وتلذذ أيضا فى الحلمإن هناك أسئلة وجودية وثقافية وفقهية كبيرة بخصوص حقيقة الحب ؟ وأسراره!! فهل نحن نحب ما كان مقدرا لنا سلفا في عالم الأرواح والذر قبل أن نخلق فى عالم الأرض ؟ أم نحن نحب ما يوافق هوانا هواه، وتتحد رؤانا مع رؤاه في الدنيا؟ فهل هناك ائتلاف في عالم الأرواح قبل الخلق في عالم الذر حيث (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف؟! " فنحن نتعارف على أحبابنا قبل حدوث الخلق هناك في عالم البهجة الصافي ، ثم نأتي إلى الدنيا فيحن كل شبيه إلى شبيهه ، ويتوق كل نصف إلى نصفه الآخر حتى يكتمل الناقص فينا وفيه وتكمل الدائرة في مسارها الحي الرائع ، ولقد تبين قديما لدى أفلاطون أن للحب اتجاهين مختلفين : اتجاهًا زمنيا أفقيًا تعبر عنه الرغبة في توليد الأجسام لخدمة المجتمع ،

واتجاها أبديا رأسيا تعبر عنه الرغبة في توليد الأرواح من أجل التسامي بها نحو الله ، وإذا كانت :(( أفروديت " الأرضية " الشعبية ")) ، هي التي تهتم بالتناسل أو تخليد النسل، فإن ( أفروديت ) السماوية ( أو الإلهية ) هي التي تأخذ بأيدينا من أجل مساعدتنا على التفلسف والمعرفة، وليست الصلة معدومة تماما بين هذين الاتجاهين المختلفين للحب ،

فإن الإيروس شديد الانفعال كما رأينا ينزع نحو الخلود في كلتا الحالتين ، سواء كان غرضه التناسل أم التصاعد ... وحينما يفطن السالك في طريق الحب إلى أن ما يخلع على الأشكال الجميلة حسنها إنما هو كونها تعبر عن صفات النفس في صميم المادة ، فهنالك نراه يتدرج من التعلق بجمال الأجساد إلى التعلق بجمال النفوس .... وحينما يدرك السالك أن جمالاً واحدًا بعينه هو الذي يجعل النفوس الجميلة – جديرة بالحب ، فإنه عندئذ سرعان ما يتحقق من أن ثمة جمالا معنويا هو الذي يجمع بين شتى النفوس الجميلة ، فإذا ما انتهى إلى هذه الدرجة كان عليه أن يصعد إلى جمال النظم والقوانين ، إلى جمال العلوم النظرية ، حتى يقف على جمال كل ضرب من ضروب المعرفة ، وهكذا يتسنى للسالك أن يتحرر من عبودية التعلق بجمال فتى بعينه ، أو جمال رجل بعينهأو جمال نظام بعينه ، لكي يتجه بكل أنظاره نحو محيط الجمال الشاسع السارح فى الكون كله!!، فلا يلبث أن يجد في مثل هذا التأمل بذور الحكمة التي قد تمكنه فيما بعد من أن يجتني ثمار المعرفة الحقيقية ، ولا يزال السالك ينتقل من جمال إلى جمال ويصعد من علم إلى علم حتى ينتهي في خاتمة المطاف إلى رؤية الجمال الكلي الثابت، ذلك الجمال الأزلي المطلق الذي هو الغاية القصوى لكل من الحب والفكر والعاطفة ، وعندئذ نراه يتوقف لكي يتأمل ذلك الجمال العجيب الذي تكبد كل هذه المشاق في سبيل الوصول إليه ، وكيف لا تقف النفس مذهولة أمام هذا الجمال الفريد وهي تشاهد أمامها جمالاً أزليًا لا يعتريه كون أو فساد!! ، ولا يطرأ

عليه تزايد أو نقصان ، ولا يمكن اعتباره جميلا من جهة ودميما من جهة أخرى ، أو جميلاً في وقت ، وغير جميل في وقت آخر،أو جميلا في مكان أو زمان آخر إلخ ، ( إيه يا عزيزي سقراط ) إن الشئ الوحيد الذي يخلع على هذه الحياة قيمتها إنما هو ذلك المشهد ، مشهد الجمال الأزلي الأبدي)(٥).

يقول نجم الدين محمد ابن اسرائيل فى داليته الجميلة:

وزار على شحط المزار مطولا ... على مغرم بالوصل لم يتعود

فياحسن ما أهدى لعينى جماله ... ويابرد ما اهدى غلى قلبى الصدى

وياصدق أحلامى ببشرى وصاله ... ويانيل آمالى ويانجح مقصدى

تجلى وجودى إذ تجلى لباطنى ... بجد سعيد أو بسعد مجدد

لقد حق لى عشق الوجود وأهله ... وقد علقت كفاى جمعا بموجدى

ولعل في هذا التدرج البديع للحب من مرتبة الحب الجسدي إلى الحب العقلي فالروحي فالمثالي في مأدبة أفلاطون فى تصويره الحب - ما دفع جميع مفكري وفلاسفة العرب إلى التأثر به وتصويره فى كتاباتهم عن الحب: ابتداء بإخوان الصفاء وخلان الوفاء، ومرورًا بمحمد بن أبي داؤود الظاهري وابن حزم حتى نصل إلى (رسالة العشق عند ابن سينا) حيث نجد هذا التدرج للحب والجمال من الصورة

الجسدية الجميلة للكائن مرورا بجميع الكائنات ووصولا إلى الصورة الجميلة للنظام العقلي والمعنوى غير الحسي، وانتهاء بالجمال الكلي الأزلي في عالم المثال الخالد الذي لا يغلفه جسد ولا يعتريه حس ولاتحتويه مادة، ولا تشوبه رغبة،ولا يحده زمان أو مكان ، بل هو تجلي جمالي أزلي فياض يشع بالنشوة والحب والخلود فى كل اتجاه، ولقد تأثر ابن سينا في رسالته عن العشق بهذا التصور أيما تأثير، وجعل العشق صعودا وتساميا شطر قبلة الكمال والجمال والجلال المنبعث عن الجمال الأزلي الكلي، فالعشق عنده نوعان : عشق شهواني يولد جمال الأجساد للحفاظ على صيرورة الحياة وعشق روحاني يولد جمال العقول وهو الحب الذى يحدو الأرواح إلى بلاد الأفراح .

لكن هل يستطيع العقل أن يفسر الحب؟ بالطبع لا يستطيع العقل أن يفسر الحب!! لكن الناس تميل فى العادة إلي تعليل الحب أو تفسيره أو الوقوف على حقيقته وسره!! ولقد أعياهم البحث والتفسير ولم يقفوا على سر الحب، ولكن الواقع أن الإنسان يحب لمجرد الحب، دون أن يكون هناك أي مبرر عقلى للحب سوى الحب نفسه، فالحب ينشأ على حين فجأة مثل بزوغ النور وتحت تأثير إلهام علوى مباشر ، وكأنما هو " بالاس أتينيه " ( Pallas Athene ) التي تحكي الأساطير اليونانية أنها ولدت راشدة عاقلة مرة واحدة ، فليس للحب مقدمات بمعنى الكلمة ولربما ينشأ الحب عن الحب نفسه ... وكما أن المرء لا يتعلم كيف يريد ، فهو لا يتعلم أيضا كيف يحب ، ... فليس الحب بمعناه الصحيح ، ومجرد عاطفة نسبية تترتب على عملية تفضيل أو مقارنة أو حساب نفعي ، بل هو كشف مطلق ، وإلهام مفاجئ ونتيجة بلا مقدمات وسلنا نعي أنه ليس للحب تاريخ ، وإنما نحن نعني أنه ليس ثمة نسبية أو تدرج في الحب " لأن الحب على حد تعبير جانكلفيتش " حد أقصى وغاية عليا ، وخير أسمى في ذاته ، ولا شأن له بالأعور الذي يعد نفسه سلطانا في بلاد العميان)(٦)" .

والحب الصادق هو حب كلي،أو قل هو حضرة وجدانية ذكية كلية، لا تعرف القسمة أو الحسابات أو المقارنات أو حتى التأني العقلي الرزين ، فالحب متى ظهر وتجلى في أفق حياتنا يستعلن كل شئ في وجودنا الداخلي والخارجي معا، فالحب شمس داخلية تشرق فى قارة أعماقنا الغامضة فتسطع على كياننا كله فتتيرنا كلنا دفعة واحدة، حتى لترعشنا كهرباء وجودية كبرى رعشا رهيفا غامضًا متصلاً فتضئ وجودنا إضاءة كاملة من جميع نواحيه، وتستولى على جميع كياننا من أقصاه إلى أقصاه، فتشرق أنفسنا على أنفسنا فنرى أنفسنا لأول مرة على ما نحن عليه حقيقة لا وهما . وعندما تكتشف أنفسنا نحس كأننا قد خلقنا لأول مرة فى الدنيا وكأننا نرى أنفسنا لأول مرة فى الحياة ، فنرى الزهور زهورًا فعلاً، ونلمس الضياء بحواسنا الخمس بالفعل، ونحس أننا فوق الزمان فنكون الزمان وأكبر منه وأبعد من المكان فنكون المكان وأوسع من حدود جسدنا وأعضائنا،بل نحس بأننا أكبر من كل الحدود ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا،وكأن ثمة روحا من الألوهية تحل فينا عندما نحب!! فنرى كل شيء مضاعفا زاهيا متجددا،بل نراه فى صورة أبدية تتجاوز حدود عمرنا الخاطف القصير، لننساح فى الزمن الكونى الكبير، يقول جميل بثينة الشاعر العذري الشهري :

عَلِقْتُ الهَوَى منها وَليداً فلم يزَلْ ... إلى اليومِ يَنْمِى حُبُّها ويَزِيدُ

وأَفْنَيْتُ عُمْرِى بانْتظارِى نَوَالَها ... فبَلّتْ بذاكَ الدَّهْرَ وهْوَ جَدِيدُ

فلا أنَا مَرْدُودٌ بِما جِئْتُ طالباً ... ولا حُبُّهـــا فيما يَبِيدُ يَبيدُ

ويقول أيضا:

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد

فزاد كما زدنا فأصبح ناميا ... وليس إذا متنا بمنتفعي العهد

ولكنه باقٍ على كل حالة ... وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

وشبيه بهذا الحب الذى لايفنى ولايزول والذى هو أقوى من الموت ، حب عروة بن حزام عندما ربط بين الحب والجنون والسحر، أوقل جعل تفسير قوة الحب فوق حدود طاقة العقل فقال:

بذلت لعراف اليمامة حكمة ... وعراف نجد إن هما شفيانى

فما تركا من سلوة يعرفانها ... ولا رقية إلا بـها رقيانى

فقالا: شفاك الله! والله مالنا ... بما ضمنت منك الضـلوع يدان

وهذا يذكرنا بالتصور الأفلاطوني للحب الذي يرى الحب اتصال النفوس التى انفصلت في الأرض والتى عندما تحب تتذكر قوة اتصالها الأول في أصل عنصرها الرفيع في العالم العلوي والمثالى، وبالطبع فإن أفلاطون كان مهتما بملاحظة تغير الحب وجمال من خلال فلسفته في الجدل الصاعد الموزع على مراتب عدة من

الحب: تبدأ من الأدنى للأعلى حتى تصل إلى عالم المثال، فقد نظر أفلاطون للحب في مؤلفه المائدة أو الوليمة Symposium على أنه " ((التمتع بالجمال في حقيقته السامية، فإننا من خلال تحقيقنا للأشياء نصل إلى حالة ذوبان كياننا في هذه الحقيقة السامية الشاملة،وإلى اتحاد كامل بها، لأن الحب من وجهة نظر أفلاطون – تصاعد ما ليس بكائن إلى مرتبة ما هو كائن ، ويرى أفلاطون أن للحب مصيرا لا يقاوم وقوة تدفع بالعاشقين إلى أن يكون كل منهما في أحضان الآخر فإذا ما اتصل العاشق بنصفه الآخر أحس بشعور الصداقة والقرابة والحب،ورفض العاشقان الانفصال كل منهما عن الآخر ولو لمدة قصيرة)(٧) .

وقد يكون العاشقان عند أفلاطون رجلا وامرأة أوأستاذا وتلاميذه، أو أي صورة أخرى من صور الحب النفسي الرفيع لكن أفلاطون فرق بين نوعين من الحب حب يرتبط بالجسد وآخر يرتبط بالروح فأما الحب الذي يرتبط بالجسد فهو أدنى مرتبة من الحب الذى يرتبط بالروح والذي يكون صادقا ويوصل صاحبه إلى السعادة الحقيقية ، ولهذا شاع بين الناس مصطلح " (الحب الأفلاطوني) عندما يرتبط الشخصان ارتباط روح ومثال دون أي غرض جسدي أو دنيوي ، بينما يسوق (أريستوفان) الشاعر الكوميدي اليوناني قصة فكهة من واقع خياله الأسطوري الابتكاري – يجسد فيها كيف نشأ الحب، فيزعم أن البدايات الأولى لخلق الكائنات لم تكن بين ذكر وأنثى بل كانت بين ذكر وأنثى وخنثى تجمع بين خصائص النوعين السابقين وكان كل كائن من هذه الكائنات الثلاثة مستديرا في خلقته على صورة الكرة الضخمة له أربع أيد وأربع أرجل وأربع آذان ووجهان وقد ساق الغرور هذه الكائنات إلى أن تتمرد وتثور على الآلهة فغضب عليها الإله الأكبر " (زيس)" فشطر كل كائن من هذه الكائنات الثلاثة شطرين عقابا لها ، ثم مضت هذه الأشطر المشطورة في ألمها وشقائها تبحث عن كمالها واتصالها واتساقها مع شطرها الغائب عنها أملا في الامتزاج به كما كانت

عليه عند بداياتها الأولى قبل غضب كبير الآلهة عليها ، وعند تمام الامتزاج والاتصال تبدأ شرارة الحب فى الاشتعال ، الحب الذي هو بحث عن السعادة المفقودة ، وأمل في الاتصال بجزء جوهري وأصيل من وجودنا الغائب عنا . ، وفي مأدبة أفلاطون نجد فيدروس أول المتحدثين – نراه يسلم " مع هزيود وغيره من الشعراء بأن إيروس إله عظيم من أقدم الآلهة ، وأنه لم ينحدر عن أم أو أب ، وعندما ينهض " أجاثون " للكلام ، نراه ينكر قدم هذا الإله ، لكي يؤكد أنه أصغر الآلهة وأحدثها ، وإن كان أجملها وأقدرها على هدايتها ، ثم يجئ دور سقراط في الحديث فنراه ينكر تماما ألوهية إيروس ، لكي يجعل منه مجرد مساعد قدير أو موجه حكيم يستطيع أن يقتادنا إلى الجمال الأزلي المطلق ، ... وإذا كان سقراط قد أنكر الألوهية على" إيروس " فهل يكون معنى هذا أن الحب بائد قد كتب عليه الفناء ؟ هذا ما يجيب سقراط عليه بقوله : إن الحب جني عظيم أو روح كبير يحتل منزلة وسطى بين الآلهة والبشر ، فهو ليس خالدًا ولا فانيا ، وهو ليس حكيماولا جاهلاً ، وهو ليس خيرًا أو شريرًا ،

وهو ليس جميلاً ولا قبيحًا ، وإنما هو في مرتبة وسط بين الخلود والفناء ، بين الحكمة والجهل ، بين الخير والشر ، بين الجمال والقبح وهنا يلجأ سقراط إلى اصطناع الأسطورة فيروي لنا تاريخ ميلاد " إيروس " ويقرر أن ذلك قد تم ليلة مولد أفروديت وخلاصة هذه الأسطورة أن الآلهة قد شاءت أن تحتفل بميلاد أفروديت ، فأقامت وليمة كبرى كان من بين الذين حضروها " بوروس Poros ( أو الفني ) وبعد العشاء ، رأت بنيا Penia ( أو الحاجة ) تلك المأدبة ، فجاءت تستجدي ، ووقفت إلى جوار الباب ، وكان بوروس ( أو الغني ) قد سكر لفرط ما شرب من الرحيق فخرج إلى حديقة " زيوس " وغط في نوم عميق !! ولمحته " بنيا " فشاءت أن ترزق منه ولدًا مدفوعة إلى ذلك بما كانت عليه من فقر وعوز ، ومن هنا فقد

رقدت (بنيا) إلى جوار بوروس فى غفلة منه ونشأ من تزاوجهما "( إيروس )" ونظرًا لأن عملية حبل (بنيا) قد تمت ليلة مولد أفروديت نفسها ، فقد نشأ إيروس محبا للجمال ، حتى إنه لم يلبث أن أصبح خادما لأفروديت ورفيقا لها ونظرًا لأن إيروس قد كان ثمرة لتزاوج الغني والفقر أو الثراء والحاجة ، فقد ورث عن أمه بنيا الفقر والجهل والضعة ، كما ورث عن أبيه بوروس الغنى والحكمة والشجاعة)(٧) .

وبهذا التصور الأسطوري لحقيقة الحب نرى مدى التناقضات المبدعة الكامنة في عمق بنية الحب نفسه فهو عوز وافتقار ، وثراء وخصوبة ، وقرب وبعاد وحضور وغياب، وهو إحساس عميق بالخلاء ، وشوق ونزاع إلى الملاء في وقت واحد فالأسطورة تحتوى على عوالم روحية وحسية ومثالية وعقلية لا تنتهي من التأمل والتفسير والتأويل ، فهي تعني أيضا أننا كلنا نحس بمثل ما أحست به ((بنيا)) التي تجسد الفقر والحاجة والانزواء، فمن خلال هذه الأحاسيس نحن نحس بضعتنا وبؤسنا الإنساني في غياب الإحساس بالحب ، كما نحس بالوحدة والاستيحاش المؤلم والفراغ المزعج في غيبة الحب ، كما نحس أن كل العالم – حتى لو امتلكناه كله – هو صورة من صور العدم والعداوة واللامبالاة في غياب الحب وكل واحد منا رجلا أو امرأة لا يهدأ له بال ، ولا تقر له عين ، في عدم تحقيق أسطورته الخاصة في الحب نحن مخلوقات ناقصة ووحيدة ومتناهية وموحشة ومظلمة في غيبة الحلم والشوق والتلهف للحبيب، الذى يصنع أسطورتنا الخاصة فى الحب.

وهناك تصور أسطوري يرى أن المفاهيم الأولى للحب قد نبعت من الأساطير فطبقا لتصور " هزيود الشاعر الملحمي الإغريقي الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد ، فإن العالم في البدء كان فوضى . فقام روح الزمن (كرونوس) بوضع بيضة فخرج منها (إيروس) ومعناه الحب ، وخصه بفعل التآلف والتناغم ، نقيض الفوضى ، ثم أصبح إيروس رمزا للرغبة عند الكاتب المسرحي المعروف اسخيلوس ( ٥٢٢ – ٤٥٦ ق.م ) ونظرًا لتعدد الرغبات ولأن إيروس لم يعد إلها ، بعد أن ورد اسمه في الإلياذة فقد أصبح " الحب مثل إيروس عدة أصناف ( إيروسات ) وهو المصطلح الجديد الذي وصفه ديوربيدس ( ٤٨٤ – ٤٢٤ ق.م )(٨) .

ويجب أن ننظر للأسطورة هنا على أنها وجه من وجوه نظرة البشر للحقيقة التي تؤطر الحاجات الإنسانية الأصيلة لدى البشر " فالأسطورة بداهة ليست خرافة ولا إشباعًا وهميًا ، الأسطورة مواجهة لا تخلو من طابع درامي أو جدل)(٩) ولعل تفسير مصطفى صادق الرافعي لسر جاذبية الجميل يكون هو الآخر أقرب إلى التفسير الأسطوري على الرغم من أنه يعيش معنا في القرن العشرين إن الإنسان بطبعه لا يستطيع أن يعيش ويفرح ويألم ويتخيل ويستشرف ويفسر بعيدا عن الإطار الأسطوري الذى يحكم رؤيته للعالم من حوله، فاللغة التي تكون أفكارنا ووعيناولا وعينا معا هي صورة من صور الأساطير، لأنها تقارب ظلال الحقيقة من خلال سقوط رموز اللغة على ماء الحياة، ولا تواقعها مواقعة حسية مباشرة في ذاتها ولذاتها.

فإذا تأملنا تفسير مصطفى صادق الرافعي لسر جاذبية الجميل المحبوب وجدناه يعلل ذلك بأنه يمثل جزءًا لا يتجزأ من القوة السماوية الجاذبة " فالله حين يبدع الجميل يرسل في دمه ذرة من مادة الكواكب التي هي سر عشقه وجاذبيته الذى يتسلط به على العاشق ويبث في دمه النار ، ويخضع بهذه القواعد لحبيبين في الوقت نفسه ،

ودلال الجميل المعشوق هو اضطراب تلك الذرة التي تتحرك فتجعل الجميل يتلألأ بالنور من كل جهاته وتضع فيه معنى خياليا ، أما عاقبة مصادمة الحبيب فكعاقبة اصطدام الأرض ببعض الكواكب ، تتحطم دون أن تعطل قوة الجذب التي للكواكب)(١٠).

ولو رحنا نعدد أنماط وأشكال الأساطير التي عالجت البدايات الأولى لعالم الحب فوق الأرض ما كفتنا مجلدات ومجلدات ، فالحب مثل النور ، الكل يراه والكل يجهل كنهه وسر مبتداه ، وسر منتهاه ، حتى لو تذرع الشعراء بعلل فكرية وأسطورية ودينية ونفسية وخيالية لذكر سبب نشوء الحب بقولهم:

الحب أول ما يكون لجاجة          يأتي به وتسوقه الأقدار

حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى          جاءت أمور،لا تطاق كبار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها          أرأيت عينا للبكاء تعار

ولقد حاول الشاعر عبد الرحمن شكرى تعليل سر سحر اللحاظ الأنثوية وما تسكبه من شهد روحى خفى تتخدر أمامه الأرواح والعقول فقال:

وأنت أدنى من نجى الرجاء          وأنت أحلى من كؤوس الثمال

فإن في ذكراك برء العليل          ورب ذكرى مثل شوك السلال

في لحظ عينيك عقال الهوى          نفوسنا في أسر ذال العقال

تطل في العين معاني النفوس والنفس أسمى ما يحب الرجال

ولكن هل استطاع شكرى أن يقف على سر النظرة الأنثوية الحالمة؟؟ بالطبع لم يستطع وإن حاول الاقتراب من عالم الأسرار فقط!! كما وقف من قبله ابن الرومى منذهلا أمام سر الحب فى نظرة المحب للحبيب فقال:

ليت شعري إذا أدام إليها كرة الطرف مبدئ ومعيد

أهي شئ لا تسأم العين منه أم لها كل ساعة تجديد

وعلى الرغم من كل ذلك يظل الحب فوق طاقة العقل فى التفسير، ولقد أورد ابن داؤود الظاهري في كتابه عن الحب " الزهرة " قولا لأفلاطون يؤكد فيه عجزه عن معرفة أمر الحب وحقيقته ، وكيفية نشوئه فقال : " ما أدري ما الهوى غير أنني أعلم انه جنون إلهي لا محمود ولا مذموم " ثم ذكر ابن داؤود الظاهري قول الشاعر :

إن المحبة أمرها عجب تُلقى عليكَ ومالها سببُ

وعلى الرغم من تأثر ابن حزم الأندلسي في كتابه عن الحب "( طوق الحمامة في الألفة والآلاف )" بالنظرية الأفلاطونية المعروفة في الحب في قوله : " ((وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا ، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع)) وهذا كلام يذكرنا بكلام

أفلاطون كما ذكرناه في مبتدأ هذه الدراسة ، لكن ابن حزم  قد استطاع من خلال نظرته الخاصة للحب أن يرد نظرته للحب إلى الواقع والشريعة معا عندما أقر بأن "(( الحب استحسان روحاني وامتزاج نفساني " يوحيه الله تعالى بين القلوب إذ يقول تعالى:

( هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩))  [سورة الأعراف:١٨٩]

" فابن حزم بذلك يقرن بين الواقع والمثال معا فى تفسير سر الحب ونشوئه يقول ابن حزم : ((الحب أعزك الله ، أوله هزل ، وآخره جد ، ودقت معانيه لجلالتها عن أن توصف ، فلا تدرك حقيقتها إلاَّ بالمعاناة) ،ثم يفصل ابن حزم فى كتابه (الأخلاق والسير فى مداواة النفوس)) مراتب هذه المعاناة فيقول ((درج المحبة خمسة: أولها الاستحسان:وهو أن يتمثل الناظر صورة المنظور غليه حسنة أو يستحسن أخلاقه، وهذا يدخل فى باب التصادق، ثم الإعجاب به: وهو رغبة الناظر في المنظور إليه وفى قربه، ثم الألفة: وهو الوحشة إليه إذا غاب، ثم الكلف : وهو غلبة شغل البال به وهذا النوع يسمى فى باب الغزل بالعشق،ثم الشغف، وهو امتناع النوم والكل والشرب إلا اليسر من ذلك،وربما أدى ذلك إلى المرض أو إلى التوسوس أو إلى الموت وليس وراء ذلك منزلة فى تناهى المحبة أصلا))(١١) .

ثم يأتى إخوان الصفا وخلان الوفا، فنراهم في رسائلهم عن الحب أدق مسلكا وأنفذ بصيرة في معرفة أسرار الحب ومحاولة الرجوع إلى علله وأسبابه الحقيقة الخفية والظاهرة المرتبطة بالواقع والحياة وأحوال القلوب والأرواح ، ففي الرسالة السابعة

والثلاثين من رسائلهم نري هذا التفنيد الفلسفي والاجتماعي والنفسي الدقيق والنافذ لمن زعموا أن الحب مرض نفساني أو جنون إلهي أو همة نفس فارغة أو فعل من أفعال البطالين الفارغي الهمم الذين لا شغل لهم.

يقول إخوان الصفا " ((ولعمري إن العشق يترك النفس فارغة من جميع الهم إلا هم المعشوقون ، وكثرة الذكر له والفكرة في أمره وهيجان الفؤاد ، والوله به وبأسبابه ولكن ذلك من فعل البطالين الفراغ كما زعم من لا خبرة له بالأمور الخفية والأسرار اللطيفة ، ولا يعرف من الأمور إلاَّ ما يحكى للحواس وظهر للمشاعر ، وأما الذي يدرك منها بصفاء الذهن ، وجودة التمييز ، وكثرة الفكر ، وشدة البحث ، ودقة النظر ، فهم بمعزل ، وذلك أن الذين زعموا أن العشق هو (مرض نفساني) أو قالوا إنه (جنون إلهي) ، فإنهم قالوا ذلك من أجل أنهم رأوا ما يعرض للعشاق من سهر الليل ، ونحول الجسم ، وغؤور العين ، وتواتر وتوتر النبض وتصاعد الأنفاس الصعداء مثل ما يعرض للمرضى ، فظنوا أنه مرض نفساني وأما الذين زعموا أنه جنون إلهي فإنما قالوه من أجل أنهم لم يجدوا لهم دواء يعالجونهم به ، ولا شربة يسقونها إياهم فيبرؤون مما هم فيه من المحنة والبلوى إلاَّ الدعاء لله بالصلاة والصدقة والقرابين في الهياكل ورقي الكهنة وما شاكل ذلك ، كما حكاه العاشق بقوله ، وهو عروة بن حزام قتيل الحب :

بذلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد إن هما شفياني

فما تركاه من سلوة يعرفانها ولا رقية إلا بها رقياني

فقالا : شفاك الله . والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

وبهذا التصور ينزل إخوان الصفا تفسير مشكلة الحب من غموضها الأفلاطوني المتسامى،إلى أرض الواقع، ودنيا الناس وطبائع الأمزجة والقلوب لكنهم لم يتمكنوا فيما نرى من تفسير كنه الحب وسر مبتداه، وكيفية اعتلاجه فى الفؤاد، وقد ذكر ابن حزم أبوابا من هذه المعاناة الوجودية الحسية التي مارسها في حياته ، أو مارسها أصدقاؤه فينقلها لنا نقل خبر وعيان وممارسة في أبواب متعددة من كتابه "( طوق الحمامة في الألفة والآلاف) " فنراه يذكر " (علامات الحب – باب من أحب في النوم – باب المراسلة – باب التعريض بالقول في الحب – باب الإشارة بالعين ثم باب السفير )"

إلى غير ذلك من أبواب ذكرها ابن حزم من واقع جراحه ومباهجه وأشواقه الخاصة وأشواق المجتمع الأندلسي على أيامه فقد كان الأندلسيون يطعمون فاكهة الحب ليل نهار ، وتبلغ واقعية ابن حزم درجة عالية من الأصالة والصدق عندما يذكر لنا خبرة الحب عبر وهجها الحياتي الحي في باب " (الإشارة بالعين) " والذي يصل به إلى مدى أبعد مما وراء اللغة نفسها فهي أدخل في باب دلالة السكوت الفصيح المبين ، يقول ابن حزم راصدا العلاقة بين لغة إشارات العين وحقيقة الحب ((والحواس الأربع أبواب إلى القلب ، ومنافذ نحو النفس والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعاها عملا ، وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادي ، ومرآتها المجلوة التي بها نقف على الحقائق ، وتميز الصفات ، وتفهم المحسوسات ، وقد قيل ليس المخبر كالمعاين، فالإشارة بمؤخرة العين الواحدة نهي عن الأمر ، وتغيرها إعلان بالقبول ، وإدامة نظرها دليل على التوجع والأسف ، وكسر نظرها آية الفرح ، والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد وقلب الحدقة إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار إليه والإشارة الخفية بمؤخرة كليتهما سؤال وقلب الحدقة من وسط العين إلى المؤق سرعة شاهد المنع ، وأعلم أن العين تندب عن الرسل)(١٣).

والمتأمل في هذا الكلام البليغ الرائع يدرك على الفور أن ابن حزم عالم نفساني حاذق يمتلك نفسا طويلا فى التأمل ، وصبرًا بصيرًا في الإحاطة بعلم دلالات إشارات العيون(طبيب روحانى حضرته) التي هي أدخل في دلالة النصبة عند الجاحظ منها إلى دلالة اللغة المعتادة، ومعنى دلالة النصبة عند الجاحظ تعبير أجساد الأشياء والموجودات عن نفسها بنفسها دون حاجة إلى كلام أو لغة، ولعل الفطرة العفوية لكلام الجسد عن نفسه لدى المرأة آصل تكوينا ، وأعمق تصرفا من الرجل بخصوص ثراء لغة الجسد عندها، ولهذا ونظرًا للقدرة الهائلة التي تمتلكها المرأة في كتمان حبها ، ودلالها الطاووسي المجنح في ابتداع ألوان زاهيات من صور الدلال الأنثوي – فإنها تجيد تعبيرات الصمت التي تظهر في التلميحات والغمزات والعبسات والنظرات واللفتات والإشارات حتى " ((ليتألف من مجموع هذه الأشياء لغة خرساء ، والمرأة – بلا شك – تتفنن هذه اللغة أكثر من الرجل ، وتحيط بدقائقها وأسرارها ، وتنفذ إلى معانيها بشكل عجيب رائع ، لذا لا يمكن أن يخفى على المرأة سر رجل بينما تخفى معظم أسرار النساء على معظم الرجال)(١٤).

ولكن إذا تركنا كل هذه الحقائق وذهبنا إلى اللحظة الأولى التي تنبعث منها شرارة الحب وفتشنا عن سرها رجعنا ثانية إلى حالة من الجهل التام بحقيقة ما حدث كيف حدث ما حدث؟ بين قلبين تناديا فتجاذبا فتلاحما فذابا ؟!! ما السر الكامن وراء ذلك ؟ يرى معظم أصحاب كتب الحب في موروثنا العاطفي العربي أن الحب بدايته لجاجة وهذل ولكن آخرته جد ، فأوله اختيار ثم ينمو بنا صوب لجج بحار الإجبار ، فقد رأى ابن القيم الجوزية أن الحب بدايته اختيارية إرادية تتجسد في النظر والتعرض للمحبة ثم يأتي الحب غير الإرادي بعد ذلك وبالطبع هذا كلام لا يتسق أوله مع آخره،وهو دليل على الحيرة أكثر منه دليلا على البرهان والوقوف على وجهة نظر ترضي العقل والمنطق، وقد أقر ابن حزم الأندلسي قبل ابن القيم بأن الحب أوله هذل وآخره

جد وهو مجهول العلة والسبب ، فلو كان سببه جمال المحبوب ، أو حسن صورته الجسدية لما وجد المحرومون من الجمال بصورتيه المعنوية والجسدية من يحبهم!! ولو كان الحب يتم بسبب تمام الأخلاق بين الحبيبين ، لما أحب الأحسن خلقا الأدنى خلقا ولما تلاقت القلوب المختلفة بعضها عن بعض ، والملاحظ في الدنيا أن الحب قد يتم بين قلبين جد مختلفين وقد يتم من طرف واحد دون الطرف الآخر،وقد يحب الأكبر سنا الأصغر سنا والعكس، وقد يتم الحب في المنام والخيال أيضا ، وكل هذه الظواهر العاطفية الحية والصادقة لا نجد لها تفسيرًا ولا تبريرًا إنها أشبه بومض الفجر ، وخطف البرق ،وشعشعة النور، وهدير الصمت في أعماق المحيطات ،وأسرار غلائل الليل التى تغلف أسرار المدن، فلا نعرف ما سرها وما كنهها ؟ لا نعرف من ذلك شيئا.

والمعاصرون أيضا مثل القدماء في تيه من الأمر ، فقد أقر مصطفى صادق الرافعي ما أقره ابن حزم سابقا فقال في(( رسائل الأحزان ) (ولكني جئتها وأنا أقدر أن أراها كما هي ، أدعها كما هي ، فإذا القدر مخبوء فيها، وإذا هو قد طلع علي في ألحاظها، وإذا أنا أراها فلا أدعها،وكان طريقي إليها بين رؤيتها وتركها، أبدأ وأعود فلما تخطيت أولها لم أر لها آخرا، ولما بدأت عدلت بي إلى الناحية التي كنت أجهلها فلم أدر كيف أعود)(١٥)، وبهذا التصور فالحب يقع بصورة إرادية منذ النظرة الأولى ثم يصير بعد ذلك قهريا يرفع علينا سيوف طاعته

فلا نملك غير أن نطيع، فنحن فى الحب مثل الفراشات الربيعية الرهيفة التى تصبو إلى الضوء بصورة غريزية لامفر لها منها!! مثله مثل عباد الشمس يتجه بصورة فطرية غريزية ناحية ضوء الشمس!! ويتنادى قلب المحب للحبيب بمقدار ما يتنادى ضوء الشمس لسر الخضار الساري فى أوراق الشجر، إن الضوء يطلب ذاتيا أعماق الأوراق، مثلما يطلب ضوء القمر تلقائيا أعماق البحار، وعندما تحب المرأة تلبى جميع نداءات جميع الرجال في قلب رجل واحد يحبها وتحبه، وعندما يحب الرجل يلبى جميع أصوات النساء اللائي يسكن قلبها فثمة رجال كثيرون ونساء يتلبسون عقلى وروحى وجسدى، كلهم يفريهم الظمأ لنبع فياض مزحوم بشعاع الشمس وخضرة القبة الزرقاء، وحنان الشفق المنيرفى قلب الحب، وليس غير المرأة من يتخمر فى رحابها الفياض هذه الخمر الألاهية الحلال خمر الأنوثة والحب.

وربما أرجع الفلاسفة العرب القدامى هذه القوة القهرية لجاذبية الحب إلى مدارات الفلك والنجوم، فثمة تمازج بين الطباع والأمزجة بناء على دورة الفلك يقول أبو هزيل العلاف "( لا يجوز في دور الفلك ، ولا في تركيب الطبائع ، ولا في الواجب ، ولا في الممكن أن يكون محب ليس لمحبوبه إليه ميل )(١٦).

ولكن ماذا يقول العلاف إذا وقع الحب من طرف واحد من جهة المرأة فقط أو من جهة الرجل فقط ؟! وهل تفسر دورة الفلك واختلاف مواقع الجاذبية فيها اختلاف الجاذبية بين قلب متوله وقلب قاس لا يبادله حبا بحب؟!، مثلما حدث للمرأة العربية التي قالت تعاتب زوجها الذي لا يبادلها حبا بحب ولا لهفة بلهفة أسأل الذي قسم بين العباد معايشهم أن يقسم الحب بيني وبينك ثم أنشدت :

أدعو الذي صرف الهوى منـي إليك ومنك عنـي

أن يبتليك بما ابتلانـي أو يسل الحب منـي

ويبدو أن كل شخصية إنسانية لها مجالها الإنساني الخاص بها وهى تتوافق معه دوما، وتتوق إليه،بل يكون كل جهدها التوجه إلى قبلته عبر العمر كله!!

يقول الشاعر عبد الرحمن شكرى:

ورب نفسين مثل اللجتين إذا تهادتا نحو شط البين تبتدر

تسربت أنفس في أنفس غمضت آمالها أمل أوطارها وطر

غير أنه غير ممكن التحقق من هذا الاندماج العفوى بين قلبين بصورة علمية صارمة أو حتى واضحة للعقل الموضوعى المتبع بين الناس، وهذا المجال الإنساني الذى تتوافق معه هذه الشخصية هو من الخطورة بمكان، إذ تعد جميع القضايا المصيرية والحيوية السابحة فى محيط حياتنا منحصرة فى هذا المجال السنى الخفى، ووعلى هذا الأفق الروحى الغامض الشفيف، والذى بناء عليه تحب النفس وتنفر، تسعد وتشقى،تتحقق أو تتمزق، وهذا مانراه الآن لدى العلم المعاصر الذى يرى أن للجسد الإنساني حرمة كهربية خاصة، فالجسد يمشى فى هالة من الكهربية الروحية والجسدية الخاصة به، مما يشى بخصوصية الجسد النسانى والرجالى معا،وهذه

الخصوصية الكهربية الروحية والجسدية خفية على الوعى والعلم حتى الآن، ومن هنا لا نستطيع أن نعلل لماذا نحب ونميل لبعض الأشخاص دون سبب واضح، بل دون وعى منا أحيانا، وقد ننفر من بعض الشخصيات نفسيا وإن كانت مقبولة فى نظر العقل الموضوعي ودون سبب واضح أيضا ، ولنا أن نتسائل:

هل معنى هذا أن الكون كله مجهز بصورة عفوية قبلية للتلاقى والإنسجام أو للتنافر وعدم الالتحام، وما علينا نحن البشر سوى التحقق من إشاراتنا الفطرية الخفية عندما ينادينا الحب فى الكون وينتدبنا القلب لمهمته الخفية الشريفة؟!

وهل يعنى هذا أن كل من يعانى نفارا أو شتاتا مع حبيبه أو مع محيطههو ضد نفسه بنفسه فى المقام الأول،؟!!هل الرادار الإلهي الكامن فى قلوب الكائنات والذى يحركها بصورة فطرية عفوية هو نفس الرادار الذى يحركنا أيضا فى الحب والقرب والبعد!! وماذا يحدث إذ ابتعدنا عن هذا الرادار؟ ولم نحترم نداءاته الخفية العبقرية ؟! وماذا يحدث إذا طال على رداراتنا الأمد فتغبشت وتشوشت وحيل دونها وبين الإرسال الفضى الصافى الذى هو فطرة الله التى فطر الناس عليها؟!!

هل نحن مسؤولون في هذه الحالة عن مسح صبغة الله فينا.؟!!أو عدم القدرة على الإنصات والإصغاء المبدع لها!! أو حتى إرجاعها حمقا وتهورا إلي حدود العقل الموضوعى العام بعد أن نصلت ألوانها وبهتت زهوتها البهية فى فطرتنا؟! أليس أصغر طائر فوق الأرض قادر على أن يضخ الحنان الأبدي لأولاده أكثر من أي امرأة انصبغت بجميع ألوان الثقافات العلمية التى تبحث عن كيفية زرع الحنان فى قلب وليدها الطري؟!! وعلى الرغم من كل ذلك مازلنا إلى الآن لا ندرك أسرار الحب ولاندرك مثلا لماذا يكون الحب أحيانا كثيرة من طرف واحد ؟!وهذا يشبه من بعض الوجوه ألوانا من الحب ذكرها ابن حزم مثل الذين يحبون في المنام والذين

يحبون من مجرد وصف صورة المحبوب ، وهذه كلها وقائع حية ملموسةفي عالم الحب ولكن أسرارها مجهولة للمفكرين والفلاسفة وأصحاب الطب النفسي وأيضا نحن لا نعرف لماذا كان الحب محور حياة المرأة حتى يستغرقها من قدمها إلي رأسها، وكأنها غرقت في أفق من النشوة لا تريد منه فكاكا، لماذا يكون الحب في حياة الرجال حادثة سعيدة، ويكون في حياة النساء قصة حياة كاملة، وتفسيرًا لوجودها بأكمله؟! حتى كأن المرأة تولد أو تخلق مرتين ، مرة عندما توجد فى الحياة وهذه هى الولادة البيولوجية، وأخرى عندما تحب وهذه هى الولادة الوجودية ؟! وهذا التصور قد تردد على لسان نيتشه بقوله " (إن الواقع أن لفظ الحب – وإن كان واحدًا – إلاَّ أنه يعني شيئين مختلفين تماما بالنسبة إلى كل من الرجل والمرأة وما تفهمه المرأة من الحب هو غاية من الوضوح : فإن الحب عندها ليس عبادة فحسب ، وإنما هو أيضا بذل تام للجسم والنفس معا دون تحفيظ ، ودون نظر إلى أي اعتبار آخر كائنا ما كان . وهذه الطبيعة اللامشروطة التي يتميز بها حب المرأة هي التي تجعل من هذا الحب ضربا من الإيمان .... وأما بالنسبة إلى للرجل فإن الملاحظ أنه عندما يحب المرأة ، فإن كل ما يريده إنما هو ذلك الحب الذي يجيئه من قبلها ، وتبعا لذلك فإن الرجل أبعد ما يكون عن أن يتطلب من ذاته نفس ذلك الشعور الذي يتطلبه من المرأة)(١٧).

وكل هذا من الأسرار الغامضات المحيرات، مثلها مثل عناصر الطبيعة: كالماء والضباب والنور والغابات المسكونة بالأسرار الراقدة في الظلام اللانهائي، ففي الحب تنام التناقضات في ملابس الانسجام ، ويتجلى المتعدد في معرض التوحد ويتراقص الألم في صورة اللذة، ويرقد الكبرياء في صورة الذلة، فكل شئ في دنيانا العادية مقلوب في دنيا الحب والتى هى دائما دنيا غير عادية تقلب كل شيء رأسا

على عقب، فالحب سر روحى رهيف قادر على إرهاقنا ومعافاتنا معا، ومن ضمن الأسرار العتية لعالم الحب ، الطبيعة الأنثوية ذاتها،فالأنثى فى نظرى سر الكون كله وهى مفتاح أسرار العالم، فالمرأة سر غامض تحوطه أصداف السحر ومحار الغوامض، ورمال الهواجس، وأسرار الأحلام ، يقول مصطفى صادق الرافعي:

(( ما وقفت أمامك مرة حبيبتي أنظر إليك ، إلاَّ قلت في نفسي : من هنا يبدأ ما لا يدرك !! فهي تريد الحب وتخشاه ، ولا تستطيع العيش إلاَّ في فضاء العواطف والأحاسيس والإلهامات والخواطر والهواجس والأحلام على تنوعها وتشابكها وتغايرها وتنازعها ، فالعواطف ما هي إلاَّ فضاء تتقلب فيه روح المرأة وتتنفس بحرية وارتياح ، وفي ميادينه تنمو وتشب ولا تشيخ أبدًا ، وأما الأفكار والعقائد والعلوم والنظريات العلمية والمبادئ الفكرية ، فلها جو تختنق فيه روح المرأة كما يختنق العصفور في إناء نزع منه الهواء)(١٨) .

ولعل وقوف الرافعي مذهولا أمام الأفق السري للأنوثة وعدم قدرته على الاهتداء إلى بصيص شاحب من أسراره ينير له غابة الجمال الربانية المرأة – لعل ذلك يقربنا أيضا من أسرار اللانهاية الكامن في الأنوثة نفسها بوصفها مجلي للحب ، وفيضا للروح ،وتشعبا للأسرار، وتوغلاً فى الغوامض الشفشفة الساحرة المرهقة، ولقد عانت كل القلوب الكبيرة الأصيلة أشجان هذا الأبد الكامن في أنوثة المرأة يقول رابندرانات طاغور شاعر الهند الكبير في القطعة من ديوانه( البستاني):

أشد على يديها قبضتي

وأضمها في قوة إلى صدري

وأحاول أن أملأ ذراعي بجمالها

وأنهب بقبلاتي ابتسامتها

وأشرب بعيني نظراتها

واأسفاه أين كل هذا ؟

من يستطيع أن يقهر زرقة السماء ؟!

أحاول أن أشد وثاق الجمال إلي

ولكنه يفلت مني ، ولم يترك بين يدي سوى الجسد وحده

وفي اضطراب وإعياء أسقط على الأرض

كيف يستطيع الجسد أن يلمس الوردة التي لا يقوى على لمسها سوى الروح ؟

أليس هذا هو المعنى الشعري الدافق الكامن في الأنوثة الذى يصوره طاغور بعبقريته هو نفس المعنى الذى حير شاعرنا العربي ابن الرومي من قبل في قوله :

أعانقها والروح بعد مشوقة      وهل بعد العناق تدان إليها

وألثم فاها كي تزول صبابتي      فيزداد ما ألقى من الهيمان

كأن فؤادي ليس يشفى غليله      سوى أن يرى الروحين تمتزجان

فالأنوثة مكمن الأسرار، ومثوى الأحلام، ومسرح الخفة الوجودية اللامتناهية، ومخزن التناقضات المتراسلة المتصادية، الأنوثة شفق الوجود يعترينا فى رهافة متداخلة محيرة ينسكب علينا كلنا،يتخلل جميع جوارحنا، ثم لا نستطيع القبض عليه من أى جهة غزانا، فالمرأة ترفض أن تكون تابعة، حتى ولو كانتفي الحقيقة تريد التبعية " (( فالموقف العقلي المصبوب على قالب فلسفتها حين تقول : إنني لن أغلب في شئ ولو أنك في كل شئ مغلوب)، وهو نفس الإحساس الذي اعترى البطلة " جوليا " عند جاك جان روسو حين وجهت خطابها إلى محبوبها قائلة: يبدو لي أن حواسي ليست سوى قوى لعواطف أكثر نبلا ولم أحبك لما رأيته فيك، بقدر ما أحبك لما اعتقدته من شعور البعث من ذات نفس وهذه الصورة المزدوجة من الإحساس بالذات في الحب تمثل إحدى الغوامض الكبرى والغرائب المحيرة للحب والتي تتماوج أسرارها الخفية بألوان قزحية تفيض بالحركة والنبض والتبادل والتداخل في ذات الوقت الذي تتجلى للبصر والبصيرة معا ذات كيان بهيج محدد، لكنها متفلتة أبدا مثل الشعاع لايقر لها قرار، فالمحبوبة لا تحب حبيبها كما رأينا لصفة من صفاته الروحية والجسدية،وإنما بسبب هذا الاستغراق الروحى الكلي في هويته الداخلية الروحية الأصيلة، التي هي أشبه بالتجلي الذوقي العرفاني الذى يكتشفه المحب في المحبوب، أو هي تكشف للنور الصافي الخالص في طوايانا المجهولة في ذاتنا وكياننا كله، فالمحبة قد أحبت محبوبها استجابة لنداء نبيل يعلو على عواطفها ورغباتها وهواها ،

كما أن أنوار المحبوب لم تتجلى في قلب المحب إلاَّ بسبب هذه القوة الروحية الفذة التي شفت وانسكبت من روح المحبوب على روح المحب ، هذا التداخل المتناقض في ظاهرة الحب بين الرغبةفي الحب والتعالي عليه ، والتسليم للمحب والصد عنه في ذات الوقت – يجعلنا نسلم بأن هذا لون من ألوان إيقاظ حريتنا الداخلية الهاجعة فينا، فهي تظل إمكانية قابلة للتحقيق والممارسة حتى إذا جاء المحب نقلها من السبات إلى اليقظة ، ومن الهجوع إلى التجلي ، ومن التبعثر إلى التماسك والتألق والتخلق.

ولعل هذا ما يجعلنا نسلم مع الدكتور زكريا إبراهيم بأن "(( أعجب ما في الحب أنه جماع ما في الوجود من متناقضات ، فالمحبون مثلا يميلون إلى العزلة وينصرفون عن الناس ، وينأون عن العالم ومع ذلك فإن الحب وحده هو الذي يسمح لنا بأن نفهم العالم ، وندرك الطبيعة ، ونحب سائر البشر ، والحب هو الشئ الوحيد في العالم الذي لا يمكن إحالته إلى مجرد أمر أو وصية، ومع ذلك فإن المرء يقدم على أقسى التضحيات وأشق الأعمال في سبيل من يحب ، وربما كان الشئ الوحيد الذي يسندنا ويعضدنا حين نكون بصدد مهام الحياة العسيرة المبتذلة ، هو أننا نؤديها في سبيل شخص آخر ، فالحب هو الذي يسمح لنا بأن نحقق من الأفعال ما تعجز عن تحقيقه أقوى إرادة، اللهم إلاَّ إذا كان المحب إلى جوارها يساندها ويشد من أزرها، والمحبون قد يتوهمون أن الواحد منهم قد جعل للآخر منذ الأزل، ومع ذلك فإن حبهم يبدو وكأنما هو مجرد ثمرة لتلاق عرضي عابر لعبت فيه الصدفة الدور الأكبر، والمحبون قد يظنون أنهم يندرجون بحبهم في عالم الأبدية وأن الواحد منهملا يجب الأخر إلاَّ في جانبه الإلهي الخالد، ومع ذلك فإن كلا منهم يعرف أن لحبه تاريخا ومن هذا التاريخ يتغير ويتطور عبر الزمان ، والمحبون يقسمون على الولاء ويأخذون على أنفسهم عهدا أبديا بالوفاء ، ويصيحون مع أرسطو قائلين :

" إن حبا أمكن أن ينتهي لم يكن يوما حبا صادقا " ولكنهم مع ذلك ينكصون بالعهد ، ويتقلبون مع الزمن ، ويكررون القسم الواحد بعد الآخر والمحبون يتمنون الاتحاد ، ويتوقون إلى الامتزاج التام ، وينشدون الامتلاك المطلق ، ولكنهم يشعرون بأن الحب لا يخلو من صراع ، وأن العلاقة بالآخر لابد من أن تقرن بالمواجهة والتحدي ، وأن الارتباط السحري الذي يتم بين الأنا والأنت ( المحب والمحبوب) لن يكون بمثابة امتلاء مطلق ، حقا إننا اعتدنا أن نقول إن رابطة الحب توحد بين الجسمين في روح واحدة ، وتؤلف بين الروحين في جسد واحد .

ولكن هذه الرابطة السحرية التي تجعل من الموجودين موجودًا واحدًا ، ليس من شأنها أن تغلق الدائرة ، بل سرعان ما تجئ الإرادة لكي تحطم هذه القوقعة المغلقة ، وكأن إرادة الحب تريد أن تعلو على الحب نفسه)(١٩)، ففي الحب لابد من الاستغراق في صورة الصد المتمنع ، والابتعاد المتصنع ، والنفور الظاهري ، وعدم الاكتراث الخادع ، ويبدو أننا فى حالات الحب نلبس ثياب المسرح، وأقنعة الوجود،لأننا نعيش في حالة سر، وحالة غموض، وحالة تعدد ألوان كلها جميل ومتداخل ومستقل أيضا ، فقد نقول نعم ونحن نقصد لا ، وقد نقول لا ونحن نقصد نعم ، وقد نكون في قمة الإحساس والانفعال ونحن نحسب أننا عاقلون تماما ، وقد نكون أمام أعتى الحجج المنطقية ، وأصدق الأدلة الموضوعية لكننا نراها حججا واهية مضمحلة ، وهوسا أعمى ، وقد نكون مرضى ونظن أننا أقوى الأقوياءوقد نكون مجانين ونظن أنفسنا أعقل العقلاء، وفى جميع هذه الحالات نحنفي حالة حب.

ففى الحب نحن أمام قوة خفية لا يمكن دفعها، ولا يمكننا الوقوف أمام قوة سرها ، فهي قوة مشحونة بالتناقضات والغوامض والمستحيلات الحية ، ففيها شئ من كل شئ ، فيها من الجنون بمقدار ما فيها من العقل ، ومن الوله المترامي بمقدار ما فيها

من الاتزان العقلى،ومن الخفة بمقدار ما فيها من التماسك، ومن القوة بمقدرا ما فيها من الضعف والتلاشي ، فى الحب نحن أمام حالة وجودية كلية عامة تحوي جميع المتناقضات والانسجامات فهي روح ومشاعر وعقل وخيال وأمل ودين ودنيا

وما فوق الدنيا معا ، فقد تعذب المرأة محبوبها أشد العذاب وهي في الحقيقة تحبه أشد الحب ، وقد تخصه بكلمة فيها كثير من الأذى الظاهر ، ولكنها كلمة فياضة تنطوي على سرب مزقزق من رغبات القرب والوله ، ومشاعر الرحمة وأخيلة السحر ، وقد تنبذه بكلمة فيها الكبرياء الجاسية الغليظة، ولكن فاعلم وقتها أنها تخصك منها بمعنى خفي ما ، فالحب فضاء واسع الأرجاء يجمع علينا الشبهة والحقيقة ، والفتنة والإيمان، والظاهر والباطن ، والورد والشوك.

يقول الرافعي:"((وقد تعالنك بأشد البغض ، وتدع قلبك يشبهها لك مراغمة جافية متعسرة، غليظة الكبد ، ولا من بغضة ولا جفاء ، ولا معاسرة ولا غلظة لابد من أنك أذللتها بهواك، فكل ما تشتمك به إنما تتأوه فيه، فكم من عاشقة متكبرة على من تهواه قصده وتباعده، وهي في خلواتها ساجدة على أقدام خياله تمرغ وجهها هنا وهنا على هذه القدم وعلى هذه القدم)(٢٠) ، إن أسرار الحب لا تنتهي وعجائبه لا تنفد ، وغرائبه لاتنقضى، وسماؤه ليس لها حدود، وفيوضه ليس لها قرار يبدو أننا فتنا عن فك أسرار الحب فما فى قدرتنا سوى التسليم لهذه الأسرار، وبل علينا أن نغوص إلى بحوره القصية الفاتنة نبحث عن سر لآلئه ، وكنه جواهره حيث يحلو لنا الغرق فيه عن البحث عن سر مراميه ، هل يعني هذا أننا نتعلق بأسرار الحب كما يتعلق العابد بأسرار عبادته؟؟ ، وكما يتعلق الطفل بأمه بصورة لا شعورية؟؟ ،أو نتعلق بالحياة رغم كل آلامها وتناقضاتها بصورة سرمدية؟؟، نحن نتعلق في سماوات الحب بسر

عفويتنا، وطزاجة طفولتنا ، وعذوبة أخيلتنا الأولى قبل أن نكبر ويكدر ماء عقولنا وأرواحنا غبار الأيام، وتراب طاحونة الأيام، يقول صلاح عبد الصبور مخاطبا حبيبته:

لا ليس غيرك ياحبيبتى من يعيدنى للفارس القديم

دون ثمن ،دون حساب الربح والخسارة

صافية أراك ياحبيبتى كأنما كبرت خارج الزمن

وحينما التقينا ياحبيبتى أيقنت أننا مفترقان

وأننى سوف أظل واقفا بلامكان

لو لم يعدنى حبك الرقيق للطهارة

فنعرف الحب كغصني شجرة

كنجمتين توأمين

مثل جناحي نورس رقيق

عندئذ لانفترق

يضمنا معا طريق

يضمنا معا طريق

فنحن في الحب نقع في حالة اللاعقل ولكن بالعقل، ونغرق فى قارة اللاشعور ولكن بالشعور ، ونسلم أنفسنا للفتنة بالإيمان ، وللوهم باليقين، وللعقل بالأحلام .وللواقع بالخيال، لقد كان الرافعي أصيلا عند رأي الحب عودة لطفولتنا الكبيرة الحكيمة، وقد رأى ابن حزم من قبله الحب هو الحياة الطفولية الغضة المتجددة ورأى دانتي الليجيرى أيضا ذات الرؤية في الحب فهو الحياة الطفولية التي لا تكبر أبدا، ورآها فردريك جوته قوة الطفولة التى تتجدد مثل شمس الصباح في كل وقت وحين، وهو

نفس الإحساس الطري الشهي الذي استولى على جماع كيان الشاعر ابن الرومي عندما رأى في وجه حبيبته وحيد فى كل ساعة تجديدا، إذ قال:

خُلِقَتْ فِتْنةً: غِناءً وحُسْناً مالها فيهما جميعاً نديد

فَهْيَ نُعْمَى يميدُ منها كَبيرٌ وهيَ بلْوى يشيب منها وليدُ

عن يميني وعن شمالي وقُدّا
مي وخلفي، فأين عنه أحيدُ

سدَّ شيطانُ حبّها كلَّ فجٍّ إنَّ شيطان حبِّها لَمَرِيدُ

ليت شعري إذا أدام إليها كَرَّةَ الطّرْف مُبدىءٌ ومُعِيدُ

أهي شيءٌ لاتسأم العين منه؟ أم لها كلَّ ساعة تجْديدُ

بل هي العيش لا يزال متى استُعْـ ـرِض يملي غرائباً ويُفِيدُ

حسنُها في العيون حسنٌ جديد فلها في القلوب حبٌ جديد

أخذ الله يا وحيدُ لقلبي منكِ ما يأخذ المديلُ المقيد

ما تزالينَ نظرةٌ منك مَوْتٌ لي مميتٌ ، ونظرة تخليد

ضافَنِي حُبُّك الغريبُ فألوى بالرقاد النسيب فهو طريد

عجباً لي ، إنَّ الغريبَ مقيمٌ بين جنبىّ، والنسيب شريد

قد مللنا من ستر شيْ مليح نشتهيه، فهلْ له تجريدُ

هو في القلب وهو أبعد من نجـ ـــم الثريا فهو القريب البعيد

فوحيد هى (( هي العيش لا يزال متى استعرض أملى على غرائبا متجددة فالشاعر بعد أن وصف وحيدا أي بعد أن ألم بصورتها الحسية ، خيل إليه أن مع ذلك كله لم يفقه حقيقتها فأمضى إليه متأملا متفكرا حتى خلص إلى الشبه بينها وبين الحياة الذي يفوق سره العقل فتماثلت وحيد بالنسبة إليه مع الحياة في نهاية طوافه وتفكره بسرها وحقيقتها ))(٢١) . ولقد قال بسكال في رسالته المسماة " ((مقال في انفعالات الحب)) أن الحب هو دائما أبدا وليد صغير لم يعد دور التكوين)) " وكأننا نمسك ببراءة الروح والجسد والعالم كله فى لحظة واحدة ونحن فى حالة الحب التى هى حالة من التموج العاطفى العميق والرقيق والكثيف حيث يتجلى لنا عبر قوس قزح الوجودي التجدد الطفولى المتموج فلا يقر له قرار من نرى هذا أيضا لدى أبى نواس في وصفه فتاة فتانة:

| | |
|---|---|
| وذات خد مورد | فتانة المتجـرد |
| تأمل العين فيها | محاسنا ليس تنفد |
| الحسن فى كل جزء | منها معـاد مردد |
| فبعضه فى انتهاء | وبعضــه يتجدد |

((فليس الجمال على الوجه الصبوح سوى ذلك التجدد المستمر الذي يرينا محيا المحبوب ، وكأنما هو الطلعة البهية التي تشرق علينا لأول مرة، وكذلك لا قيمة للنظرة أو الابتسامة إلاَّ إذا بدت في كل مرة جديدة وكأنما هي تحمل في كل آن معنى،

وتبرز في كل مناسبة سحرًا لم يكن في الحسبان ، وهكذا الحال بالنسبة إلى الحب ، فإن المحب الحقيقي يرى في محبوبه كل يوم مخلوقًا جديدًا ، وإن كان هو بعينه ذلك المخلوق الذي أولع بحبه يوما)(٢٢)، وهذا التجديد التموجي الأبدي الشهي يظل يلح على قلب المحب، وتظل أنوار المحبوب تشعه فى كل اتجاه إلى ما لانهاية،والقلب لايسعه الدنيا وما فيها عندما يحب،ولذا ترى المحبين الحقيقيين يحبون العزلة والوحدة وكأنهم يريدون الخروج عن حدودهم المحدودة فى الدنياإلى عالم الصمت الذى يفتح عليهم أكوانا أخرى غير منظورة،وفى هذا تناقض عجيب من تناقضات الحب إذ نر المحبين فى زهوة فرحهم بالمحبوب لاتسعهم الفرحة فى الدنيا فيريدون أن يمتدوا بفرحتهم إلى أبد الآخرة أيضا، وهنا يتجلى الحب عن غموض وتناقض آخر أكثر غرابة وتعقيدا من ذى قبل، يتجلى في دخول الموت في الحب ودخول الحب في الموت ، فحين يتسع الحب سعة لا حدود لها في قلب المحب حتى ليخرج عن نطاق مكانه وزمانه وحدود حواسه وقدراته الإنسانية فلا يجد سعادة له غير أبدية الموت ولانهائية الخروج من حدود الجسد والروح والعقل والخلق والواقع والحياة بأسرها، فالموت وجود مطلق يسع المحب والمحبوب معا، وربما قال الهمشري في قصيدته " شاطئ الأعراف " شيئا من هذافي قوله :

أيها الحب أنت للموت موت ذو غلاب على البلي مستخف

أنت صنو الحياة وارثة وظـــلال من الإله ترف الموت

وعندما يحب الإنسان يحس أنه بدأ يخرج من ضيق الاعتياد الرتيب إلى طلاقة الحب الخصيب، فيخرج البخيل من البخل إلى الكرم، والعيي من الصمت إلى الكلام، والخامد من الجمود إلى النشاط، ويخرج القبيح من التبذل للجمال، والشيخ من الشيب إلى الشباب،فالحب مظاهرة وجودية ثورية ضد السائد والمعتاد فى كل شئ،إنه الشجاعة المفرطة الجسارة ضد تسيس الوجود، وتصنيف النفوس،وقد مر بهذه المعاناة العذبة الجميلة جميع الشعراء على اختلاف توجهاتهم خاصة العذريين والصوفيين،

حيث الفناء في المحبوب يمثل قمة الحب، والفناء هنا قوة الإنشغال بذات المحبوب لا الاضمحلال فيه،أو قل الخروج من ضيق العالم إلى أبدية الروح حيث السمو والخلود، وانحسار ظلال المجهول والانسياب مع اللحن الكلي السابح في لجة الموجودات والأشياء والأحياء وهي تستحم في نهر البهاء المطلق.

وبهذه المثابة فإن الحب يحررنا من ضيق حدود أجسادنا وعقولنا وأفكارنا العامة السائدة، فهو ينقلنا من حدود البصر إلى لانهائية البصيرة، ومن ضيق الزمان إلى سعة الأبدية، ومن حدود العقل إلى رحابة الجسارة،إنه خروج على الحدود بامتياز، و تخليص للعقل والقلب معا من قيود ذلك التحتيم [ الصارم ] الضيق الذي يخيل إلى أكثر الناس أن جميع ما نحسه من الأشياء، ونراه من الموجودات مصبوبة على قالب واحد رتيب لايتغير ولايتبدل، لكن الحب يرينا كل شيء فى حيويته وجدته الحية التى لاتنتهى، فالحب من روح الرحمن مقتبس ، ونحن لا نقبل بالطبع تحليلات فرويد المادية التي حاول أن يفض بها أسرار الحب، فالحب في نظرنا أعلى وأدق وأجمل وأوسع من ضيق الوهدة المادية الفجة التي أنزله إليها فرويد وسائر المحللون الماديون او قل أصحاب النظريات المغرمون بحبس الوجود الطليق الحي فى زجاجات أفكارهم، واعتبار ظاهرة الحب مجرد حضيض جنسي مادي هو تصور

غير صحيح على المستوى الحياتى والوجودى والعلمى أيضا، فقد كان يرى فرويد أن الأقدمين كانوا يهتمون بالغريزة الجنسية ذاتها ، لكننا المحدثين يهتمون بموضوعها فقط ، فقد كان الأقدمون يعظمون الدور الجنسي ، ويعدونه سبب الارتواء والسعادة في الحب .

بينما نحن المحدثين نختصر النشاط الجنسي ذاته ، وننظر إليه بعين الريبة والانحطاط ، ويضيف فرويد بأن تأملاته عن الحب قادته إلى أن الحب كان يفعل فعله منذ بدء الحياة غريزة للحياة في مقابل غريزة الموت منذ أن تفتحت الحياةفي المادة الجامدة ، ولقد فسر فرويد جميع صور الحب في الوجود بين الرجل والمرأة والأب وابنه ، وبين الناس والمؤسسات التي يعملون فيها من واقع الدافع الجنسي المادي الفج ، وبالطبع فإن إرجاع الحياة الروحية العاقلة او حتى الحياة المادية المعقدة للوجود البشري الخلاق إلى أسباب مادية أسطورية صلبة مثلما فعل فرويد وغيره من العلماء على شتى صنوفهم المعرفية لا يفسر لنا شيئا عن الحب بقدر ما يمحوه من جذوره، ولقد أبان علماء النفس الإنسانيين الجدد من أمثال ماسلو وروجرز هورني وسوليفان وإريك فروم وغيرهم بأن الحياة الروحية والقيمية والأخلاقية للإنسان تختلف اختلافا جذريا عن الأسباب المادية التي تقود إليها فإذا كانت المادة موجودة منذ البداية غير أنها لا تفسر لنا بوجه من الوجوه حركة الروح، أو نشاط العقل ، أوتعقيد الشعور ،أو الغائية من الحياة والوجود، فبدايةً من معجزة الإدراك الحسي التي نراها أمامنا كل يوم والتي تبدأ من التقاط الأشياء المادية من حولنا ، غير أن هذا الإدراك المادي الحسي ينتهي بنا إلى أشياء عقلية وروحية وخيالية فوق حسية وفوق مادية، تتجاوز الإدراك الحسي نفسه، وبناء عليه أدخل علماء النفس الجدد الدافع الإنساني والروحي مكونا أساسيا من مكونات الوجود الإنساني والطبيعي والعلمي والفلسفي، كما أدخلوا مبحث القيم والحرية مبحثا تأسيسيا في بنية الأشياء والأحياء

والموجودات كلها ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن ينحط الإنسان إلى مدارك المادة فتكون قادرة وحدها على احتوائه وتفسيره وتحديد مسارات وجوده ، وقد استطاع إريك فروم عالم النفس الشهير أن يربط بين الأفكار العلمية في علم النفس المادي وبين الأيديولوجية الرأسمالية التي ترجع كل شئ إلى المادة والتي تنظر إلى الجسد البشري أو إلى الإنسان برمته بوصفه تركة مادية رأسمالية تباع وتشترى في الأسواق الرأسمالية ، وليس روحا نشطة فعالة ، وعقلاً متوترًا مريدًا قادرًا على تحديد هدفه وتثمين وجوده ، والسمو إلى مثله الأعلى الجمالي والمعرفي والحضاري والعاطفي أيضا ،

لقد اختزل فرويد الحب والحياة العقلية برمتها إلى ((فسلجة وجودية مادية بائسة)) إن صح التعبير كما أن عاطفة الحب عنده غير عقلانية لكونها تعبيرًا عن التدمير المتعلق بالإلحاح الفسيولوجي . لكن فسلجة الوجود والحب لا يفسران لنا شيئا من حقيقة الوجودأو حقيقة الحب او حتى حقيقة العالم المادي الذى يتم الحب فى رحابه!! ويظل الحب متعاليا رفافا في سماواته الشجية بعيدًا عن سجون فرويد وغيره من العلماء .

فإذا اتجهنا إلى إريك فروم عالم النفس الكبير وجدناه يفسر لنا كنه الحب بظاهرتي الاتصال والانفصال وعلاقتهما بقضية الحرية ، فإن الإنسان كان يعيش في الماضي وثيق الصلة مع الطبيعة ، وكان يمتلك كامل أشواقه وحريته ، لكنه حين ابتعد حديثا عن الطبيعة انفصل عن قواه الداخلية والخارجية معا، ونتيجة لهذا الانفصال والانفصام الروحي والوجودي تتولد لدى الإنسان رغبة روحية جامحة لاستعادة هذا الاتصال القديم وهكذا فإن سر الحب يكمن في الشوق إلى الاتصال والرغبة الحميمة في خلق علاقة روحية وعقلية تكون قادرة على تحقيق أشواق الإنسان وحريته وطلاقته وكافة صور قدراته وممكناته، لكن الرجوع إلى الطبيعة الأولى المتصلة لا

المنفصلة لم يحدد إريك فروم لنا طبيعتها هي نفسها!! ، لقد أنزل إريك فروم المثاليات المجردة المتعالية لدى أفلاطون والمتمثلة في شوق المحبين إلى التعالي إليها والتحقق بها والاتصال بعوالمنا الروحية الأولى التي انفصلنا عنها انزلها فروم من علياء عالم المثل ، إلى وطياء عالم المجتمع والطبيعة لكنه لم يحدد لنا معيار هذا المجتمع ، والحقيقة الأولى لهذه الطبيعة ، فليس اجتهاد إريك فروم سوى فرض إنساني أولي أراد أن يحقق به حقيقة قبلية بدئية حتى يبني عليها تصوراته العلمية والنفسية والوجودية لحقيقة الحب ، لكن تظل أمام إريك فروم معضلة وجودية عاطفية كبرى وهي تتمثل فيما نري فى هذا السؤال : لماذا يستجيب إنسان ما لحاجات إنسان ما آخر دون غيره من البشر الموجودين معنا؟! والذين قد يمتلكون نفس الحاجات ؟! لقد حدد فروم أربع حاجات أو خصائص جوهرية لتحقق سر الحب ، أو ما أطلق عليه " الحب المثمر " وهي العناية أو الرعاية (" Gare " والمسؤولية " Responsibility " ، والاحترام " Respect " والمعرفة " Knowledge " فإذا توفرت هذه الأشياء الأربعة بين شخصين اتقدت شرارة الحب بينهما،

وحدثت الجاذبية الروحية العارمة بين المحب والمحبوب ، لكن الواقع الوجودي لظاهرة الحب لا تفسره هذه المحددات الأربع أو حتى صور الحب الإيجابي والسلبي التي حددها إريك فروم ، فقد يحقق لنا بعض الناس هذه الخصائص ثم نميل روحيا إلى شخص آخر غيره، وهنا يظل الحب سرًا مغلقًا ، وأفقا غامضًا مشعًا معا فدائما يفاجئنا الحب مثل الوجود بأسراره العاتيات، فقد يكون الدافع الأساسي للحب هو الرغبة الصافية البريئة من أي قسر أو هدف أو منفعة حتى لو كانت المحددات الأربعة التي قال بها إريك فروم .

ولقد رأى عالم النفس روجرز بعد فروم أن سر الحب يكمن في أن تكون مفهوما بعمق من الطرف الآخر ، ومقبولا بعمق منه أيضا ، وهذا يتوجب شرط الاحترام العفوي غير المشروط ، والذي يجعل الإنسان قادرًا على أن يعيش حالة تبادل المشاعر بينه وبين المحبوب بعيدا عن حالات الإسقاط النفسي الخيالي وحالات ضعف الذات أمام ذات أخرى تتسلط عليها وتتملكها ، وتقرر هورني مع روجرز أن سر الحب هو أن تمتلك القدرة على أن تعطي من نفسك تلقائيا للناس بدلا من الحصول على كل شئ لنفسك بطريقة أنانية ، لكن ما يحدث بالفعل في ممارسة الحب يخالف ما ذهبت إليه هورني أيضا، فالحب قد يكون أنانيا وقد يكون تنازلا وقد يكون خيالا وواقعا ، ووهما وحقيقة ورغبة وسموا معا ، فماذا تفعل هورني أمام أسرار هذا العالم الخفي العتيد عالم الحب!! لكن الفيلسوف الظواهري ماكس شيللر ، يرى أن سر الحب لا يكمن في الانفعال أو الرغبة بل هو معرفة حدسية مباشرة يخترق بها المحب كيان محبوبه مباشرة ، فالحب هو القدرة على إدراك ماهية الشخصية وقيمها الرئيسية في نظرة حدسية شاملة كخطف البرق الساطع ، وومض الحلم البارق، على أن يكون إدراك قيمة هذا الشخص غير خاضع لحسابات من أي نوع ، أو مقارنات من أي شكل ، لأن الحب لا يعبأ بالحسابات ولا بالمقارنات بل يتعدى ذلك إلى أفق القيمة الأساسية للشخص بحيث يكون قادرًا على إنماء هذه القيمة ، والمشاركة الفعالة في بعث الحياة فيها وإيقاظ إمكاناتها ومواهبها وصفاتها الأصيلة الكامنة فيها .

ومن واقع العرض السابق لبعض تصورات علماء النفس عن سر الحب وطبيعته وأهدافه ، نجد أنهم قد واجهوا صعوبات جمة في وصف الحب أو تعريفه أو حتى مجرد تحديده، ولقد تفلت منهم الحب دائما مثل الطير الحرون الأبى المحلق فى أعماق الفضاء بعيدا عن طاقة البشر فى الرؤية والتفسير!! والعلماء السابقون يحاولون جميعا أن يقبضوا على الشعاع الطليق داخل حجرات العقل الضيقة أو يفسروا سر الاخضرار الفاشي في أشكال الأشجار ، بالعناصر المادية الأولية التي تتكون منها هذه الأشجار ، فقد حاولوا القبض على زرقة السماء اللامتناهية داخل زجاجات المختبرات العلمية البائسة، وربما بدأ الحب مثل خمر إلهية غير آسنة صبت في جام الوجود فأسكرت جميع البشر، دون أن يدركوا سر السكر الجميل فيها ، ودون أن يقفوا على سر تكوينها وسحرها ونشوتها، فهي مثل قول الشاعر العباسي أبي العباسي الناشئ في إحدى خمرياته :

ومدامة يخفي النهار لنورهــا وتذل أكناف الرجى لضيائهـا

صبت فأحدق نورها بزجاجها فكأنما جعلت إناء إنـائـهـا

وتكاد إن مزجت لدقة لونهــا تمتاز عند مزاجها من مائها

لا شئ أعجب من تولد برئها من سقمها ، ودوائها من دائها

نعم فوجه العجب في سر الحب أن برءه هو سقمه ، وسقمه هو برؤه ، ودواؤه هو الداء ، ودواؤه هو الداء ، ولا يشفيه من عذاب الحب إلاَّ المزيد من الحب ولا يقربنا من معرفة سر الحب سوى الخشوع أمام أسرار الحب ، يقول قيس بن ذريح متخشعا أمام محراب لبني :

أعالج نفسي من بقايا حشاشته ... على رمق والعائدات تعود

فإن ذكرت لنبي هششت لذكرها ... كما هش للثدي الدرور وليد

أجيب بلبني من دعاني تجلدا ... وبي زخرات تنجلي وتعود

تعيد إلي روحي الحياة وإنني ... بنفسي لو عاينتني لأجود

ألا ليت أياما مضين تعود ... فإن عدن يوما إنني لسعيد

كأني من لبني سليم مسهد ... يظل على أيدي الرجال يميد

فلا اليأس يسليني ولا القرب نافعي ... ولبني منوع ما تكاد تجود

رمتني لبيتي في الفؤاد يسهمها		وسهم لبيني للفؤاد حيود

سلا كل ذي شجو علمت مكانه		وقلبي للنبي ما حسيت ودود

وقائلة قد مات أو هو ميت		وللنفس مني أن تفيض رصيد

وهذا التوله والتدله والتأوه في محراب الحب هو آخر ما في طاقة الشعر والشاعر معرفته، فالحب خارج احتمال الوعي، وخارج الإمكان البشري في المعرفة والتصور، ولقد كان ابن حزم الأندلسي بصيرًا واعيًا بطبيعة الحب والتي رآها تقرب من طبيعة الخيال ، فقد أخبرنا عن حب تم بمحض الخيال ومجرد الوصف عن بعد ولقد تعجب ابن حزم من هذا ولكنه لم ينكره ، ومن هنا تأتي أصالة الوعي بالوجود والحب عند ابن حزم ، فقد تعجب ممن يحب " ((من لم يره قط ، ولا خلق ولا هو في الدنيا ))" ثم يفسر ذلك بحدسه الحسي البصير بقوله "(( إن الذي أفرغ ذهنهفي هوى من لم ير ، لابد له إذ يخلو بفكره أن يمثل لنفسه صورة يتوهمها ، وعينا يقيمها نصب ضميره، ولا يتمثل في هاجسة غيرها ، قد مال بوهمه نحوها)(٢٣).

ويربط الدكتور زكريا إبراهيم في كتابه عن " مشكلة الحب " بين أفكار ابن حزم في هذا الصدد وأفكار الكاتب الفرنسي الكبير"( ستندال)، الذي سيقول بعده بفكرة "( التبلور )" فيروي لنا كيف أن خيال المحب يخلع على المحبوب كل ما يهواه هو من ضروب الكمال ، وكيف أن أوهام الحب هي التي تجئ فتضفي على شخصية

المحبوب من المزايا ما يجعل منها جوهرة ثمينة نادرة)(٢٤) ، وفكرة التبلور عند ستندال تقترب من العوالم الروحية والعقلية الكامنة في اللاشعور الروحي للمحب هذا اللاشعور الغاص بآلاف الصور والروابط الجميلة الماضية والحاضرة والمتخيلة والتي تجسد وتكون لديه مثلا أعلى للمحبوب عند المحب،

وكأن المحبوب يجمع للمحب عبر حياته كلها كل ما انفعل به، وكل ما تأثر به فيما مضى من حنان،أو شفقة أب ، أو عطف أخت ، ومن جمال وجه ، أو لون شعر ، أو طابع حسن أو نظرة ساحرة ، أو نغمة صوت ، وغير ذلك مما يستقر في عقله الباطن ، فإذا ما صادف شيئا من ذلك في شخص انصب في نفسه هذا التيار العجيب من الحب أو قل ينفذ هذا التيار من عقله الباطن متسللا إلى عقله الظاهر ، فتتسلط علي هذا الشخص ، أو قل تسلط عليه هو ذكرياته وقوى خياله "(( فإذا هو يستحيل في نظره إلى كائن شعري فاتن أخاذ ، وهذا هو سر الحب ... ورابطته السحرية التي توثق الأواصر بين المحب ومحبوبه ، فإذا هو تكفيه منه النظرة والإيماءة العابرة ، أما الوصل فهو كمال الأمنية ومنتهى الأمل والفرح الذي لا شائبة معه ، والصفاء الذي لا كدر فيه ، وكل فراق وهجر لا يزيد المحب إلاَّ ولوعا بمحبوبه ، وكذلك كل عذل ولوم وكم شكا المحبون من العذال والرقباء والوشاة ، وإنهم ليضنون ويسقمون ويطول بهم السهر والسهاد ويتعذبون عذابا ممضا ، وهم منتشون لا يفيقون سعداء بكل ما يألمون)(٢٥).

ولعل فكرة التعميم في الحب التي يقصد إليها شوقي ضيف تتصل اتصالا وثيقا بفكرة التبلور السابقة عند ستندال وبفكرة التخيل عند ابن حزم وبفكرة النقص الكامنة في وجودنا البشري ، وأنا لا أقصد النقص المرضي كمصطلح من مصطلحات علم النفس ، بل أقصد فكرة التناهي والمحدودية التي تتحكم في وجودنا البشري بصورة فطرية جبرية سواء كنا بشرا أصحاء أو مرضي، فكلنا يحكم فينا التناهي وقصر

العمر ومحدودية الإدراك ولأننا "(( بطبيعتنا ناقصون ومتناهون فإننا نصطنع لأنفسنا دائما – إن من حيث ندري أو من حيث لا ندري – صورة مجردة لما سيكون من شأنه أن يتممنا أو يكملنا ، وهذه الصورة المثالية المرجوة لموجود آخر سيكون من شأنه أن يحقق لي الاكتمال هي بمثابة الينبوع الأصلي الذي لابد من أن تنبثق منه صورة " الكائن المحبوب " ، ومعنى هذا أن شعورنا بذواتنا يقترن بشعور آخر يدور حول ما نرغب فيه لكي نحقق ذواتنا من جهة ، وما نخشى ألاَّ نستطيع بلوغه مطلقا من جهة أخرى ، ولا شك أن مثل هذا الشعور إنما يعبر عن نقص مزدوج ، لأننا نشعر بالحاجة إلى موضوع يكون من شأنه أن يكملنا ويحقق ترقينا ،

كما تكمل الزهرة البرعم الصغير أو كما تجئ الثمرة فتكمل نضج الزهرة .... ولولا هذا الشعور المزدوج بالنقص لما نشأ لدينا ذلك الحنين الغامض إلى موجود آخر يجئ ليحقق آمالنا في الاكتمال ، وهكذا تجئ تجربة " التلاقي " فتحرر ما في نفوسنا من إحساس بالقلق ، وتتيح الفرصة أمام الصورة المثالية الكامنة في أذهاننا لأن تتحقق ويتم إسقاطها فوق شاشة الواقع)(٢٦).

إن الغموض والسر الكامنين في فكرة التبلور عند ستندال ، أو فكرة التخيل عند ابن حزم،أو فكرة النقص والتناهي والفناء عند زكريا إبراهيم أو فكرة التعميم النفسي والعقلي كما ذكرها شوقي ضيف وهو ما يعرف في علم النفس ((بالتثبيت في الحب))، فإن كل هذه التصورات تقترب أيضا من الغموض والسر الكامنينفي فكرة الحنين والتذكر التي ذكرها إخوان الصفا وتغنى بها الشعراء والفلاسفة ووقفوا حيالها مذهولين لا يدركون من سرها شيئا ذا بال، وملخص هذه الفكرة كما ذكرها الوشاء في الموشي "(( أن من عشق يوما شخصا من الأشخاص ثم تسلى عنه أو فقده ، أو تغير عليه ، ثم إنه وجده من بعد وقد تغير عما كان عليه وعهده من الحسن والجمال

وتلك الزينة والمحاسن التي رآها على ظاهر جسمه ، فإنه متى رجع عند ذلك فنظر في تلك الرسوم والصور التي هي باقية في نفسه منذ العهد القديم وجدها بحالها تلك ولم تتغير ، ولم تتبدل ، ورآها برمتها ، فتشاهد النفس في ذاتها حينئذ من تلك المحاسن والصور والرسوم والأصباغ ما كانت من قبل تراها على غير تغير .... فعند ذلك تبين له وعلم أن المعشوق والمحبوب بالحقيقة إنما هو تلك الرسوم والصور ، التي كان يراها على ذلك الشخص ، وهو اليوم يراها في نفسه منقوشة مرسومة في جوهره مصوره في ذاته ، باقية لم تتغير فمهما تغير المحبوب فصورته في عين محبه لا تتغير ، ألم يقل مجنون ليلى من قبل في محبوبه :

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

وهذا يعني أن للتناهى الذى يعترينا والنقص الذى يتلبسنا وللخيال والشوق والرغبة المشتهاة في المحبوب سطوة عاتية في تشكيل صورة المحبوب ، فنحن نحب ما نرغب فيه، وما نحلم به وما نتخيله ونتمناه أيضا ، فالمحبوب هو المثال وهو الأشواق المشتهاة ، وهو الأحلام والهواجس وروعة الخواطر ، وفيض الأمنيات إنه مزيج رائع معقد من وعينا ولا وعينا، حاضرنا ماضينا ومستقبلنا على السواء فنحن في الواقع لا نحب في محبوبنا صورة الواقعية فقط بل وصورته الخيالية الكامنة في أرواحنا وعقولنا وأشواقنا أيضا، وهذا التصور للحب ربما عرفه علماء النفس فيما أطلقوا عليه مصطلح"( التثبيت " في الحب) ، أو مصطلح (التعميم) ولكن هناك جوانب عميقة وأصيلة في تصور ابن حزم للحب سبق بها فيما نري تصورات علم

النفس المعاصر، ونستطيع أن نرجعها هنا إلى قيمة الخيال ودوره في ظاهرة الحب ، وبالطبع فإن الخيال هنا غير الوهم فخيال الحب غير وهم الحب يقول زكريا إبراهيم :(( فربما يقر آخرون بأن الحب يحدث في لحظة انحلال عقلي أو هبوط قيمي ، أو ضياع نفسي فيصاب القلب بمرض عدم المناعة فيغزوه قلب آخر لكن هذا الكلام يصور الحالات المرضية أو الوهمية في الحب ، ولا يصور الحالات الأصيلة العفوية فيه ، ولا نستطيع أن نطابق أيضا بين وهمية الحب وخيالية الحب فقد ربط مارسيل بروست الروائي المعروف بين عدم معقولية الحب ووهميته وسبب حدوثه فأرجعه إلى محض الصدف وربما لو لم نقابل هذه المرأة في ذلك اليوم وحدثت بعض الأعمال والشواغل عن وجودنا معها في نفس المكان في ذلك اليوم

ربما لو حدث هذا لما تم حبالها ولما حدث كل هذا القلق والألم والنشوة والعذاب معا لكننا لا نتصور أن الحب يحدث بسبب الوهم الخالص " فحتى لو صح أن التبادل في الحب هو مجرد وهم مزدوج ، فإن هذا لن يسمح لنا بأن نقرر أن توافق وهمين إنما هو نفسه مجرد وهم !! وآية ذلك أننا نلمح بالفعل هذا التوافق وأنه كثيرًا ما يكون ثمرة لقبول مزدوج ، فضلاً عن أنه يمثل في كل علاقة عاطفية – مهما كان من تفاهتها – مثبتا من الحقيقة(٢٧).

وهذا يعني أن الوهم في الحب كما وهمه بعض الفلاسفة والروائيون لا يفسر لنا سر الحب، بل هو تصور غير دقيق على المستوى العلمي والوجودي الفعلي، لأن الوهم لا يعكس غير جزء من الرؤية الصادقة لجوهر المحبوب ولربما كان مصطلح الخيال أدق وأنفذ وأقرب وأشمل فى الوقوف على عتبة سر الحب، وهو أقرب التصورت دقة إلى ما نسكن من أشواقنا ورحيقنا الخاص على من نحب ونرجوه ونصبو إليه لأنه الخيال مرتبط بموضوعه ينفذ فيه ويتسامى عليه في آن، ولقد كان ابن جزم

الأندلسي أقرب إلى حقيقة الحب من غيره من المفكرين عندما أقر بتأثير خيالنا علي حبنا ، ولكن لنا أن نتساءل بدورنا لماذا لم ينشط خيالنا في استشارة مشاعرنا إلا صوب هذه المرأة دون سواها؟ بالطبع نحن نقف عاجزين أمام هذا السؤال،وربما دققنا على باب مجهولات الحب فلم تفتح لنا بصيصا من نور، وبقينا فى توجعنا وحيرتنا نعزف أرق الألحان على باب السر،وروعة المجهول فى الحب، وربما تتجاوز فكرة التثبيت والعتميم فى الحب حدود الدنيا فتتجاوزها إلى الموت أيضا، وتبقي صورة الحبيب ثابتة عميقة محفورة في طوايانا وحنايانا تتخلل أجسادنا وخيالنا وأرواحنا وحياتنا الباطنة كلها ، حتى لو تغير هذا المحبوب لا تتغير صورته،بل لو مات وانتهى من الدنيا يظل مثلا أعلى نكدح إليه ونعشقه ونتملى حياتنا في صورته المحفورة في ذكرياتنا وقلوبنا وعقولنا وخيالاتنا الأولي الطرية الشهية.

ومما يقوله ابن حزم الأندلسي في هذا الباب قوله: "(( وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة إلى القصر، فما أحب طويلة بعد هذا، وأعرف أيضا من هوى جارية في فمها فوه لطيف، فلقد كان يتقذذ كل فم صغير ويذمه، ويكرهه الكراهة الصحيحة ... وعني أخبرك أني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر ولو كانت على صورة الحسن نفسه ، وإني لأجد هذا في أصل تركيبي من ذلك الوقت ، لا تواتيني نفسي على سواه ، ولا تحب غيره البتة)(٢٨) ، وهذا يؤكد أيضا أن الحب سر غامض قصي مثله مثل سر الغروب المترامي خلف المروج الذهبية يظل يرسم في جوانب الأفق البعيد صورا للبهاء الأبدي العفوي غير الممسوس من قبل، وغير قابل للمعرفة، أوالإمساك به في أقاصيه البهية اللانهائية ، وقد كان ابن حزم نفسه وجميع من كتبوا عن الحب يعتبرون الهوى والعشق داء عياء ماله من دواء ، وسطوة عاتية لا مفر منها ، وسيف آمر قاهر يسلطه علينا القدر فنذل تحت مشيئته خاضعين راضين مسرورين،ونحن

نوافق ابن حزم على قوله أيضا يقول ابن حزم : "(( اعلم أعزك الله أن للحب حكما على النفوس ماضيا ، وسلطانا قاضيا ، وأمرًا لا يخالف ، وحدا لا يعصى ، وملكا لا يتعدى ، وطاعة لا تصرف ، ونفاذا لا يرد ، وهو – الحب – يحل المبرم ، ويحلل الجامد ، ويحل الثابت ويتخلل الشغاف ، ويحل الممنوع)(٢٩).

ولعمق إيمان ابن حزم بما يقول ويعرف وما يستقيه من خبرته اليومية المباشرة نراه يكرر نفس تجربة الوقوف على أسرار الحب بعد أن بلغ السبعين من عمره،وصار شيخا وقورا طاعنا فى السن، فنراه يكتب فى كتابه: ((الأخلاق والسير فى مداواة النفوس)) (أخبرنى بعض من صحبناه فى الدهر عن نفسه أنه ما عرف الغيرة قط حتى ابتلى بالمحبة فغار وكان هذا المخبر فاسد الطبع خبيث التركيباإلاًّ أنه كان من أهل الفهم والجود)(٣٠) ، وهذا يؤكد على عكس ما يحلل علماء النفس ، وأصحاب الطب النفسي على أن الحب لا يخضع لمقاييسهم العقلية خضوعا تاما، ولا يتسق وأفكارهم الأخلاقية والنفسية والعلمية والثقافية كل الاتساق، فالحب يتم داخل حدود الدنيا لكنه يعلو على الدنيا، ويتم بالعقل ولكنه فوق العقل، وتكون حدوده أعضاء الجسد ومكامن الروح،

لكنه يتجاوزهما معا فينداح عبـر آفاق الشوق والسمو والنزوع إلى المطلق خارج حدود الزمان والمكان والأعراف والتقاليد والأخلاق، خارج جسد الحبيب وجسد الدنيا كلها، ومن هذا المنطلق فنحن نعد الحب أخلاق الأخلاق، وفضيلة الفضائل ، وقيمة القيم ويكاد يكون وجودا روحيا إنسانيا زاهيا يتخلق ويتألق ويحلق داخل وجودنا الإنساني نفسه ، لكنه ينزع به إلى آفاق أبعد منه ،فالحب منظومة قيمية كبرى مثله مثله مثل الإيمان وكل صنوف العبادات التي تخرجنا من حدود ذواتنا الضيقة ، وانعزالنا الوجودي الموحش، وظلامنا الإنساني الخاص إلى عالم فوق حدود ذواتنا لنصير أكبر من نفوسنا وعقولنا وأرواحنا وأفكارنا وخيالاتنا في ذات الوقت الذي لا

نفقد فيه ذواتنا وأجسادنا وأفكارنا، فالحب يذيقنا الرحيق الميتافيزيقي السامي ليس على مستوى استغراق حدودنا في حدود قلب آخر لنكون أكبر من أنفسنا !! بل هو يدفع بنا أيضا إلى نقل كل عالمنا الدنيوي إلى عوالم ما وراء الدنيا والعقل والثقافة ،لنجرب رحيقا ميتافيزيقيا وجوديا آخر يكون وراء عالمنا الظاهري الفاني والشئ المحير حقا هو من مستغلقات الحب وأسراره الغامضات أن شوقنا إلى الخروج عن حدود أنفسنا في تجربة الحب يزداد ظمأ كلما زاد ارتواء المحب من ماء المحبوب يقول ابن حزم الأندلسي : "(( ولقد بلغت من التمكن بمن أحب أبعد الغايات التي لا يجد الإنسان وراءها مرمى، فما وجدتني إلاَّ مستزيدا، ولقد طال بي ذلك فما أحسست بسآمة ... ولقد ضمني مجلس مع بعض من كنت أحب، فلم أُجِل خاطري في فن من فنون الوصل إلاَّ وجدته مقصرًا عن مرادي، وغير شاف وجدي ، ولا قاض أقل لبانة من لباناتي ، ورجوتني كلما ازددت دنوا ازددت ولوعا ، وقدحت زناد الشوق نار الوجد بين ضلوعي)(٣١).

ويجب علينا هنا أن نفرق بدقة بين ارتواء مرضي لا ينتهي ظمؤه، بل يزداد ظمؤه كلما تمكن من وصال الطرف الآخر ، وبين ارتواء صحي عذب جميل مطمئن يقوم على الإيثار والبذل وحب العطاء للطرف الآخر لذات العطاء والمودة وليس لجبر نقص ، أو سد خلل نفسي لا ينتهي اختلاله، فهناك حالات صحية للارتواء وحالات مرضية من الاستغراق والذوبان وقد فرق علماء النفس مثل هورني وإريك فروم بين العلاقة العاطفية الصحية القائمة على محض العطاء والإيثار والتضحية في حرية تلقائية للمحبوب، والعلاقة العاطفية المرضية القائمة على الأنانية المنطوية على ذاتها والمستغرقة في لذتها، المفترسة للذات الأخرى ، النهمة إلى إفناء الآخر من أجل الأنا الذاتي الأناني،

حيث يتجلى الطرف الآخر في الحب بوصفه موضوعا للاستهلاك، وشيئا مستخدما للتلاعب والإشباع والسيطرة والتملك، ووليمة شهية منذورة للنهم والامتصاص والاستغراق والذوبان والانتهاك والتصفية النفسية والوجودية معا ، نجد كل هذا في العلاقات العاطفية المرضية مثل: المازوشية والسادية والإسقاطية التى تتم بين المحبين الزائفين أو المرضي وهى صور تتكرر كثيرًا فى حياتنا اليومية بين الأزواج والمحبين، والتي يحاول فيها المحب الزائف أن يتخلص من مشاعر العزلة الخانقة التي تطبق على جماع كيانه عن طريق جعل نفسه جزءا من شخص آخر يوجهه ويقوده ويحميه ، أي أنه يقدم نفسه ملكا لا حياة لنفس أخرى زائفة تتقبل هذا العرض الوجودي الزائف كما يحدث مثلاًفي العلاقة العاطفية السادية التى يتحول فيها الشخص إلي( الشئ – الموضوع ) ويحاول من خلال هذا التحول التخلص من عزلته الجحيمية بأن يقدم نفسه كاملة لشخص آخر يسيطر عليه ، ويتلاعب به ، ويتحكم فيه ويكون موضوعا لإثبات نقصه وسد خلله ، وإنهاء جوعه المرضي المقيت ، وكلتا العلاقتين المازوشية والسادية لا تطيقان الحياة والوجود بدون فريسة تستنهب كيانها ، وتصفي وجودها وتستنضب ماء حياتها، وبالطبع فإن كل هذه الصور من صور التواصل المريض تعكس حبا مرضيا أنانيا منطويا على نواقصه ، مستغرقا في باطله وضياعه ، حيث لا تتحرر روح المحب ولا المحبوب بل تستعبد وتنتهك لكن الحب الحقيقى فيه وصال من نوع آخر ففيه ((خصوبة تتجلى بوضوح في كونه يغير من نفوس أولئك الذين يحبون ، وكأن الواحد منهم يعيد خلق الآخر أو كأن الاثنين يولدان من جديد معا ، ولعل هذا هو السر فيما نلاحظه عادة من أن للحب دائما صبغة خلاقة أو طابقا إبداعيا ، وكأن الإنسان لا يستطيع أن يحب دون أن " يخلق " شيئا خارج ذاته !!)(٣٢) .

وكل هذه الصور المرضية من العلاقات العاطفية تختلف اختلافا جذريا عن علاقة الحب الحرة الخلاقة التلقائية الأصيلة، وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الفرنسي المعاصر (لويس لافل) حينما كتب يقول (( إن الحب يفترض الثنائية Dualite باعتبارها شرطا أساسيا لإمكان قيامه ... ففي الحب إذن علاقة بين حدين لا يتمايز الواحد منهما عن الآخر ، إلاَّ لكي يساند أحدهما الآخر ... وأنا حين أحب فإنني أتصور الآخر باعتباره مختلفا عني ، ومن ثم فإنني أريده من حيث هو ذات أخرى ، لا من حيث هو ذات أمتلكها ، أو ذات موجودة بالقياس إلى)(٣٣).

وفي هذه العلاقة الحياة النابضة الشهية لا يتجلى المحبوب بوصفه موضوعا شيئيًا ماديًا مغلقًا ، بل بوصفه روحًا إنسانية رفافة تجمعها ((علاقة حية توجد بين الأنا والأنت ، وحينما تتسع دائرة هذه العلاقة بحيث يستحيل الحب إلى إشعاع كوني ، فهنالك يرى المحب جميع الناس أخيارا كانوا أم أشرارا ، جميلين كانوا أن دميمين ، موجودات حقيقية ، أو " ذوات " بمعنى الكلمة أوشخصيات حية يخاطبها بلغة الـ " أنت " وربما كانت القيمة الأخلاقية الكبرى للحب هي أنه يعلمنا ألا نعامل الآخرين معاملة الأشياء أو الموضوعات أو الوسائط ، بل معاملة الأشخاص أو الذوات أو الغايات)( ٣٤ ).

وهذه السعة الروحية الفياضة التي يدرها لبن الحب الصافي هي التي تمكننا بصورة خلاقة من اكتشاف الجوهر الباطني الصادق لنا وللآخرين ، بل يتعدى الأمر ذلك إلى التنبؤ بهذا الجوهر ، وتوطئ كل الممكنات والأسباب لإيقاظ مواهب الآخرين من سباتها واستنهاض الأصالة الغائبة الكامنة في طواياهم الروحية والعقلية والخيالية ، ولعل هذا هو الذي دفع بعباس محمود العقاد إلى اكتشاف الرجل المحب الكامن في الهيئة الخارجية للرجل الشرير، أو الذي ذاعت سمعته بالشر بين الناس على سبيل العجلة وليس على سبيل التأني ، يقول العقاد : (( إننا لا نستطيع أن نعرف معرفة

صحيحة متكاملة إلاَّ من خلال الحب، فالفهم البصير العميق حاسة أخلاقية قبل أن يكون حاسة علمية وهو يتفجر من ينبوع الحب وهذا الإحساس العميق بالأواصر الروحية الرابطة بين جميع القلوب هي التي مكنت أيضا الشاعر عبد الرحمن شكري أن يرى في طويا المجرم رجلاً صالحًا ، ولعل هذا يفسر لنا من بعض الوجوه ، كيف يقف العقل الإنساني عاجزا أمام تفسير ظاهرة الحب تفسيرًا معقولاً ، أو حتى قريبا من المعقول ، ولأمر ما كان قران الحب بالجنون هو السائد بين جميع قصص الحب والعشق شرقا وغربا، وليس الجنون هنا مرادفا للعته والسفه والانحلال العقلي والخلقي ، بل مرادفا لعوالم ما بعد العقل وفوق المنطق، والخروج على قواعد العرف العام في الفهم والتصرف والممارسة

بل نحن نرى ان أفضل حالات الوعى والفهم والتصرف تكون دائما فوق حدود القواعد المرعية،والسلوكيات المتبعة فى الإدراك،أى أن أذكى وأعلى ألوان الوعى هو ذكاء الوجدان الكلى البصير، لا ذكاء العقل المنطقى المحدود،بل نرى ذلك أيضا فى النظريات العلمية التجريبية المعاصرة التى تولى منطق الحدوس والفروض قيمة معرفية كبرى فى التوصل لتصورات علمية تجريبية جديدة، يقول رشدى السيسى فى كتاب ((إرنست دومنييه ( فن التفكير) نقلا عن قوقنارج (تصعد الأفكار العظيمة من القلب) ويقول جوبير (إن القلوب التي يعوزها الدفء ، يعوزها النور) . والمحبة سواء أكانت هي جاذبية الحق ، أم الحب الأصيل البسيط النقي تفتق الذهن وتضفي عليه حرية النبوغ وهكذا يفعل كل حافز يتسم بالإيثار ويملأ الروح بأكملها . إن عقد النقص العقلي تذوب ، كرقائق الجليد ، في رحاب الحب ، ومن ثم يتم تحرير الروح تماما . من كتاب (فن التفكير) ص١٥٤ .

وكل هذه الدلائل تؤكد أن أفضل حالات العقل فى الوعى والإدراك ماكان منطقه ملتحما مع وجدانه، وما كان برهانه منسجما مع عرفانه،أى أن عملية التعقل والتمنطق هى حيوية فهم، ونشاط إرادة،لامجرد معرفة قواعد، واتباع منطق فالتلاميذ الصغار فقط هم من يفضلون تقديس القواعد!!إن فكرة الحوار العلمى المفتوح غير فكرة المطابقة بين المعرفة والقاعدة، ولقد حكى عن مجنون ليلى أنه( كان يمر بالحي راكبا ناقة له ، فرأى ليلى مع نسوة ودعونه إلى النزول والحديث معهن فنزل ، وكان محدثا لبقا ، وجعل يحادثهن ، وعينه لا تفارق ليلى ، وجاءته لتمسك معه باللحم ، وهو يقطعه ، فقطع كفه بالسكين ، وهو شاخص فيها فجذبت السكين من يده وهو لا يدري ، وأوقد نارًا للشواء ، وطرح قطع اللحم فيها وأقبل يحادثها فقالت له : انظر إلى اللحم هل استوى أم لا ؟ فمد يده إلى الجمر وجعل يقلب بها اللحم ، فاحترقت وهو لا يشعر ، ولما عرفت ما بداخله صرفته عن ذلك ، ثم شدت يده بهدب ردائها وذهب وقد استحكم عشقها في قلبه)(٣٥) ولما أشفق أمه عليه بعد أن ترك الطعام والشراب وهام في البوادي ، ذهبت إلى ليلى تستعطفها عليه فقالت لها ، إن قيسا قد ذهب حبك بعقله وترك المطعم والمشرب فلو جئته وقتا لرجوت أن يثوب إليه بعض عقله فقالت ليلى : أما نهارًا فلا ، لأني لا آمن من قومي على نفسي ، ولكن ليلا فأتته ليلا ، فقالت له : يا قيس إن أمك تزعم أنك جننت من أجلي وتركت المطعم والمشرب ، فاتق الله وأبقي على نفسك فبكى وقال :

قالت جننت على رأسي فقلت لها　　　الحب أعظم مما بالمجـانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه　　　وإنمايصرع المجنـون في الحين

فبكت معه ، وتحدثا حتى كاد الصبح يسفر ، ثم ودعته وانصرفت ، فكان آخر عهده بها ...ولما بعد المهدي بابنته ليلى عن قيس ومنازل قومه جن بها جنونا فكان لا يعاوده عقله إلاَّ قليلاً ، ولم تزل تلك حاله غير مستوحش ، إنما يكون في جنبك عاريًا منفردًا لا يلبس ثوبا إلاَّ خرقة ، وهو يهذي ويخطط في الأراضي ويلعب بالتراب والحجارة ، ويجمع الطعام حوله ، ولا يجيب أحدا سأله عن شئ، فإذا أحبوا أن يتكلم أو يثوي إليه عقله ذكروا ليلى، فيقول بأبي هي وأمي، ويرجع إليه عقله ويخاطبهم فيجيبونه، ولما طال على قيس ذلك قال قوم لأبيه: لعل الجن قد أصابته فكان يأتيه بالتمائم والتعاويذ ويرش عليه الماء لاعتقاد العرب أن الجن تنفر من ذلك فكان يأبى هذا الصنيع إباء شديدًا وينشد :

وجاءوا إليه بالتعاويذ والرقي　　　وصبوا عليه الماء من ألم النكس

وقالوا به من أعين الجن نظرة　　　ولوعقلوا قالوا به أعين الإنس (٣٦)

والمتأمل في القصص السابقة يعجب أيما إعجاب لبراءة الخيال القصص فيها، وسذاجته البسيطة الآسرة التي تقرن بين الحب والجنون بصورة خيالية عفوية تجسد لنا كيف كان يتخلق الفلكلور الشعبي العربي حول الحب في الموروث السردي القديم ، فليس الجنون هنا معناه انحلال قوى العقل والبدن ودخول المحب في محاق العقل وسيطرة التخثر والذهان عليه، بل كان الجنون يمثل تقنية فنية سردية تقوم بتجسيد عدم قدرة العقل الإنساني على تفسير سطوة الهيام ، وأجيج الوجد بالمحبوب ، وإلاَّ فكيف نفسر في السرد القصصي السابق أن ليلى عندما كلمت قيسا وعاتبته في عدم طعامه وشرابه ثاب إليه عقله وقال لها شعرًا ، وعندما كان المحب ( قيس) يهيم في الجبال والوديان والفيافي يصاحب المخلوقات البرية بعيدًا عن دنيا الناس ، قريبا من الخلاء والخلوة والكون والكائنات فإذا ذكروا له اسم ليلى ثاب إلى عقله ، وآنس إلى رشده ، أليس في هذا فروسية روحية عارمة تذكرنا بفروسية الصعاليك الذين استبدلوا الصحراء بالقبيلة ، والمرأة بالأصحاب والوحش والتوحش المكاني الأبي ، بذل الرضا في أكناف أحكام القبلي الجائر!!. إن الخروج عن حد العقل في الحب كان يعني الخروج عن المألوف من القواعد، والسائد من التقاليد، والثابت من الأخلاق الصحراوية القاسية، وربما لا نكون مبالغين إذا رأينا أن قران الحب بالجنون معادلة وجودية وثقافية تساوي في نظرنا قران مفاهيم الصحراء بمفاهيم بالإسلام،أو قران ثقافة العشيرة والقبيلة بثقافة الدين أو قران ثقافة فروسية المادة الضيقة الخشنة بفروسية الروح المتراكبة الرفافة ، فلقد كانت الصحراء شسوعا صامتا يبعث على الرهبة والجلال، وتراميا أبديا إلى المجاهيل والغوامض التي تملؤ القلوب والعقول شجى وحزنا أبديا غامضا، كما كانت الصحراء غلظة وصلادة موحشة ترج النفوس رجا عنيفا فتأنس بسويداء نفسها ، ودخيلاء أوهامها ووحدتها وانفرادها وكل هذا التكوين العقلي والنفسي والخيالي والخلقي والقبلي قد مازحته روحية الإسلام ورقته وقواعده وأطره وتساميه وتعاليه، فنازع الخلق القديم الجافي ، الخلق الجديد الصافي

فصارت الروح العربية مزيجا من الإقبال والإدبار ، والرقة والغلظة ، والصحراء والماء ، فاستبدل الشعر والشاعر كليهما فروسية الصحراء المادية ، بفروسية الماء ، وغلظة الرجولة المادية المغلقة برقة الرجولة الفارسة الممتدة ، لقد انتقل مركز الوجود والروح والعقل والثقافة من بنية الصحراء المادية الجرداء في الخارج ، إلى بنية الروح الممتدة إلى أعماق البصيرة والحدس والاستشراف والتجاوز

ومن هنا وقع الحب والمحبون في أزمة روحية وعقلية ودينية هائلة من وجهة نظرنا الخصة، إذا كيف يوفق المحب بين عرامة اللهب ، وصرامة الحدود ؟! وكان يجب على المجتمع العربي والأدبي والثقافي بوجه عام أن يعي حدود الدين وقواعده وحلاله وحرامه وعيا ناضجا متراميا محبا حتى يتم الانتقال بسلام من وعي الخضوع الاستعبادى للنص الديني إلى وعي الخضوع الحر للنص الديني، فالله تعالى يريد عبيدا أحرارًا ولايريد عبادًا مستعبدين، كان يجب علي العرب ألاَّ يفهموا حركة الدين وروحه وقواعده فهمهم للشئ الغفل المادى الغليظ، كان يجب أن يروا قواعد الدين أشبه بالحركة الحرة الطليقة الحريصة على الانطلاق المحسوب، والكرامة الإنسانية الحرة، من أن يروها أشبه بحدود أسمنتية مسلحة حريصة على الصد والحرمان وتأطير الدفق الإنساني المتموج داخل حدود الانطفاء ، وقيود الانزواء، فالدين العظيم نضارة دنيوية مبدعة قبل أن يكون رهبة أخروية كهنوتية مغلقة، ولاغرابة فى ذلك فالنص الدينى نفسه يحتاج من كل عبد متوجه نحو ربه جهدًا ثقافيًا ووجدانيًا وعقلانيًا جهيدًا لخروج الإنسان من ضيق أفقه الجزئى الصغير للدخول فى أفق ربانى كبير، ومجاهدة الإنسان لحدود وعيه السائد وماتعود على رؤيته باستمرار على أنه الحقيقة الوحيدة للدخول فى ملكوت النص الدينى وما يؤسسه من حقائق جديدة فيها يرتفع الإنسان إلى أفق وجوده الحر الخلاق فى كل زمان ومكان،ومن ثمة فالوعى الدينى بل الوعى الإنسانى الحق بصورة عامة متوقف على مجالدة الإنسان

حدود وعيه دون نفيها، ومقاومة العقل حدود اعتياده دون إقصاء العقل نفسه، ومجالدة الإنسان حدود وعيه فى الفهم السائد العام ليدخل شطر فهم ووعى جديدين يكون الإنسان فيهما أكثر وعيا وأصالة وصدقا، ولا نريد أن نقف هنا كثيرًا حتى نفرض على زمن حضاري مضى بظروفه المادية التاريخية الخاصة به ، لنفرض عليه رؤيتنا المادية التاريخية المعاصرة، ونحن على وعى بالطبع من أن البشر لايستوعبون العالم ولا الفكر إلاَّ من خلال أبنيتهم المعرفية والتصورية والثقافية السائدة فى زمانهم ومكانهم مهما كانت درجة علمهم وموضوعيتهم وحرصهم على الفهم والوعى والإدراك، فالإنسان منحاز بالطبع،منحاز لحدود وعيه، وسائدات فهمه، وراسخات ثقافته، وتقاليد زمانه ومكانه، رضى أم لم يرض، رغب أم لم يرغب ، ولكن حس التعاطف الديني والثقافي هو الذي حدا بنا إلى تقديم هذا التفسير ، وهذه الرؤية الخاصة بنا في تفسير قران الحب بالجنون في موروثنا العاطفي العربي.

لقد كانت أزمة المحبين المسلمين المجانين،أزمة ثقافة وحضارية معقدة كل التعقيد، كانت أزمة الفروسية الصادقة العارمة وهي تدخل إطارًا جديدًا من الوعي بالوجود الروحي الشفيف الذي صبغ به الدين الإسلامى شكل الحياة والحضارة العربية القديمة برمتها ، إذ كيف يخضع الفارس خضوعا لا يمس من رجولته ؟! ولا يغض من قيمته أمام نفسه وأمام الناس وأمام ثقافته الرمزية العامة ؟!

يقول الدكتور شوقي ضيف في تأثير الإسلام على الحب عند العرب :"(( الصحراء والإسلام هما اللذان أعدا لظهور هذا الغزل العفيف الحزين وما طوى فيه من حب نبيل شريف ، وهو غزل يعبر عن أسمى العواطف التي يفيض بها القلب الإنساني ، غزل نحس فيه لذع الحرمان وأن الرجل يتهيب الاقتراب من المرأة ، فهي كائن ملائكي تحول قدسيته دون لمسه ، وحتى هي إن وصلته لا يزال يشعر شعورًا عميقا بالألم واليأس ، بل قد يفضي به حبه إلى الجنون أو إلى الموت ، وهو لا يأتي ذلك

وحده بل تأتيه المرأة أيضا سعيدة قريرة العين ،وعلى هذا النحو لم يكن غزل العذريين كغزل أسلافهم الجاهليين ، فهو غزل يعبر عن نفوس محرومة قد طهرها الإسلام من كل دنس ، وبرأها من كل غرض جسدي تافه ، غزل لا يراد به إلى تصوير المرأة ، وإنما يراد به إلى تصوير النفس العاشقة ، وما تبتئس به وتنعم في عشقها وما تكابده في هذا العشق من ألوان العناء ، وما تجنيه من ثمرات مرة وحلوة إن صح أن تكون هناك ثمرات حلوة ومرة في آن واحد، والإسلام من غير شك هو الذي هيأ لظهور هذا الغزل ، فقد صان المرأة وأسبغ عليها غير قليل من الكرامة والإجلال وبعث في نفوس هؤلاء البدو مثالية خلقية ، جعلتهم أو جعلت أفئدتهم تصغي إلى تعاليمه فإذا هي تخلصها من أدران الجاهلية ، وأدران الجسد وما يتصل بالجسد وإذا هذه النفوس قد صفيت وصفى معها الحب وتخلص من شوائبه المادية القديمة ولم تَشِع بين هؤلاء البدو من العذريين الحضارة ، ولا دخل في ديارهم الترف ، فلم تفسد نفوسهم ، ولا تحول غزلهم إلى فن من فنون الترف، بل بقيت له بداوته وسذاجته وبساطته ، وأخذوا يعبرون به عن دخائل نفوسهم إزاء المرأة وقد حاطها الإسلام بهالة من التجلة فإذا هم ترق أحاسيسهم،وتنبل عواطفهم ومشاعرهم، وإذا هذا الغزل العفيف الظامئ يصدر عن فطرتهم وسليقتهم صدورا طبيعيا كما يصدر الضوء عن الشمس ، والشذى عن الزهرة)(٣٧) .

وعلى الرغم من تسليمنا للدكتور شوقي ضيف ببعض جوانب صحة هذا التفسير الديني والحضاري لعذرية الحب العربي ، غير أنه تفسير لا يستطيع أن يجيب عن أسئلة حضارية ومعرفية وجمالية متعددة في بنية الغزل العذري نفسه كما لا يستطيع أن يقدم لنا نورًا كاشفًا لتداخلات حضارية واجتماعية ومعرفية وجمالية معقدة بين روح الجاهلية وروح الإسلام في إيجاد هذه الظاهرة الشعرية العذرية التي قرنت بين الحب والموت والتجاوز والجنون من جهة ، وبين القلق الاجتماعي والأخلاقي العام

وهدر دماء المحبين بين القبائل العربية القديمة من جهة أخرى؟! حتى لو أقر الدكتور شوقي ضيف وغيره من النقاد المحدثين بأن هذه الحكايات مدخولة على التاريخ العربي ، بعد أن نحلها خيال بعض القصاص يقول شوقى ضيف :((ويظهر أن القصاص لم يدركوا سبب هذا الغزل المحروم ، وأن مثالية الإسلام الخلقية هي التي دفعت إليه ، فوضعوا من عند أنفسهم سببا ظنوا أنهم به يستطيعون أن يوجدوا العقدة النفسية التي أحدثت هذا الحرمان وهو سبب سيراه القارئ منشورًا في كثير من هذه القصص))(٣٨).

إن الأسباب التي وصفها القصاص مثل الجنون ، أو الموت ، أو كراهة تزويج الفتاة العربية بمن شبب بها وأذاع حال حبها بين القبائل ، أو شيوع فكرة هدر دماء المحبين البائحين بهواهم أمام المجتمع إن جميع هذه الأسباب حتى وإن كانت صنعة خيالية سردية محضة حتى ينحبك السرد وتتحقق المتعة الفنية للقارئ غير أننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نغض الطرف عن الأسباب السياسية والاجتماعية والنفسية والثقافية التي كانت وراء هذا الاختلاق السردي العاطفى الجميل ، أو أن نفصل بين الأيديولوجي والجمالي في بنية الشعر الغزلي القديم والمعاصر أيضا ، فيجب أن نولي سياق الحذف أهمية تضارع سياق الإثبات ويجب أن ننتبه إلى أن المصطلح النقدي والجمالي نفسه يمنع بقدر ما يمنح ، ويمنح بقدر ما يمنع ، فدراما المجاز السردي لا تنفصل بأي صورة من الصور عن دراما الوجود الذي نحياه، وإلاَّ فكيف نعلل هذا الحب العاطفي الحسي الغارق في منابع البهجة والارتواء، الذى تجلى لدى أهل المدينة والحجاز

ولدى عمر بن أبي ربيعة وغيره لدى الأندلسيين المسلمين في القرن الرابع الهجري كما صوره ابن حزم في طوق الحمامة " ؟! ألم تكن هناك فى الأندلس مثالية الإسلام أيضا ؟!! فهل مثالية الإسلام كما تصور شوقي ضيف وغيره هي التي دفعت إلى هذا الحرمان البائس في الحب العذري ؟! وهل الإسلام الحنيف قد عانى من مثالية غير واقعية تؤلب البنية الجسدية والروحية والحضارية للفرد والمجتمع بعضها على بعض ؟ بالطبع ليس هذا بصحيح على الإطلاق ، فالإسلام لا يحرم الحب ، ولا يأمر بحرمان المحب من حبيبه ، ولا يقر أن يحيا الإنسان وفق مزاعم المجتمع لا وفق تلقائية الطبيعة الحية الجميلة !! بل أباح الإسلام الطلاق شرعا لأي زوج أو زوجة مسلمة لا يتوفر في علاقتها الزوجية شرط القبول النفسي والروحي ، والرضا الوجداني ؟!ناهيك عن التوافق المادي بكافة صوره الجسدية، وبصرف النظر عن الالتزام الخلقي والديني الذي أمر بهما الدين أيضا، ولكن الدكتور شوقي ضيف وغيره من النقاد يبررون شيئا لم يأت به الإسلام ، وكان أولى به أن ينظر للقضية من منظور سياسي واجتماعي بشري ، تحكمه قوانين وتقاليد حضارية محددة ، في فترة تاريخية محددة.

يقول الدكتور نوري حمودي القيسي في دراسته عن " الحب والعشق والتوجه الاجتماعي في التراث العربي:(( إن المرحلة الإنسانية التي يجتازها الإنسانوهو يتخطى مراحل الانسلاخ من الإحساس المادي تعد خطوة من خطوات الابتعاد عن الغفلة ومرحلة من مراحل تجنب الانغماس في هوة التفكير الحسي في مباشرة العواطف ، إلى جانب القدر التي تتلقاها هذه النفس من ترويض وجداني محسوس وهي تصارع نوازعها ، وتغالب مغرياتها التي تحسنها الرغبات وتزيفها اللذات ونفوس هؤلاء الشعراء كانت تتحسس هذه الصراعات ، وتعاني هذه المشاق، وهي تتشوق وتقصد وتنظر وتتأمل وتفكر وتجاهد وتتصور وترسم لأحاسيسها ما تراه

مناسبا ، وتعد لحياتها ما يجعلها خالدة مطمئنة ، وربما كانت هذه الانطلاقات هي الأساس الذي يفسر تعلق هذه النفوس بما كانت تحن إليه ، وتتشوق له حتى في حالة غيابها وذهابها .... وقد استطاع هذا الإنسان أن يعبر عنها بأشكال متنوعة وكان الشعر والبطولة والحرب والأسطورة والرمز صورة من صور الحب ولونا من ألوانه ،

وعندما جاء الإسلام ، أدرك بإحساسه الديني الدقيق مدى العلاقة التي تشد الرجل بالمرأة ومدى ما يمكن أن تساهم به أمثال هذه العلائق بتطور المجتمع وازدهاره، وتنظيم توجهه وسلامة مسيرته فكان التأكيد في القرآن الكريم تأكيدًا واضحا استغرق آيات كثيرة عرضت لنظام الحياة ويؤكد الروابط المتينة ويحفظ الحياة من مزالق التدهور ويبعدها عن فوضى الانحطاط . بعد أن فرض الإسلام العقوبات ، وسن الحدود لكل خارج عن إطار الفضيلة ومتحد لمقومات الحياة الشريفة ، ولم يترك للرجل علاقة مع المرأة إلاَّ علاقة الزواج ولم يفسح له مجال التحرك إلا في إطار الحلال الذي أمر الله به.

وقد أسهم هذا النظام في حماية المجتمع وصيانته من انتشار الرذيلة ، ورفعه إلى المستوى الذي يليق بالإنسانية ، وقد ظل الوازع الديني عاملاً من عوامل التسامي في تنظيم الحياة الاجتماعية ، وقوة فاعلة من قوى التوجيه في تنسيق العواطف وقد أدى هذا التنظيم إلى أن يضع كلا من الرجل والمرأة في الموضع المناسبوأن يتمتع كل منهما بمكانة مرموقة تتناسب مع المهمة التي يؤديها كلاهما في المجتمع إن الحديث عن ظاهرة الحب باعتبارها حقيقة اجتماعية ومعالجة الإسلام لها وإعطائها هذه الأهمية يعني أن الدين الجديد ، قد أدرك خطورة إهمالها وما يمكن أن يؤديه هذا الإهمال من متاعب ، وما يخلفه من أوضاع لا تليق والقيم التي جاء بها وآمن بمفاهيمها ، وقد تركت هذه المعالجات العاطفية للفقهاء المسلمين مجال الاجتهاد في

تنظيمها وخاصة الحب والعشق ، فأكثروا من الحديث عنهما ، وتحليل دواعيهما ، ودراسة تطورهما مستعينين بثقافاتهم واجتهاداتهم في سبيل تدعيم الحجج التي كانوا يعتمدونها في الدراسة ، وقد انتقلت أمثال هذه الدراسات من بيئات الشعراء التي وصلوا فيها إلى مراحل الذروة من العفة إلى بيئات المجتهدين والفقهاء الذين درسوها دراسة توحي بمحاولة ربط العاطفة بالمجتمع ، وشد أسبابها بأسباب تكوين تلك المجتمعات ووضع الحلول أو توجيه العواطف ... ولم يكن هذا الانتقال غريبا فنحن أشرنا إلى بداية معالجتها – في حدود – القرآن ، كما ساهمت السنة الشريفة بدراستها دراسة موضوعية فعالجت كثيرًا من أحوالها ووضعت الحلول لها وفق المؤشرات الاجتماعية التي اقتضتها الحاجة وحددتها ظروف المجتمع آنذاك ، وكما حاول المجتهدون والفقهاء أن يضعوا الضوابط وينظروا النظريات للعشق والحب ،

فقد حاول أصحاب البيان والأدب أن يدخلوا هذا الباب ، ويفردوا لكتبهم أبوابا يعرضون فيها لهذه الظاهرة الاجتماعية ويجمعون بين الآراء التي تباينت في تحديد أحوالها ، وتصنيف أصحابها وتعليل ما وقعوا فيه ، ولعل الحديث النبوي الشريف الذي اختلف رواياته وتعددت طرقه وأسانيده ، يعد المفتاح الأول الذي دفع الفقهاء والمتأدبين وأصحاب الفرق إلى مناقشة الظاهرة أخبرنا المبارك بن علي عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ق قال : " من عشق فعف فمات فهو شهيد " وبرواية أخرى .. " من عشق فمات فهو شهيد " وأخرى " من عشق وكتم وعف فمات فهو شهيد " وأخرى " من عشق فعف فمات دخل الجنة " وأخيرة " من عشق وكتم وعف ثم مات مات شهيدا)(٣٩).

ولعل فى ارتباط  كتمان المحبوب حبه بالشهادة رجلا كان أو امرأة مايفيد شرف الحب ونبل غايته فى الثقافة العربية الإسلامية، التى لم تضع حدودًا قاسية بين الدنيوى والآخروى، بل جعلت نظارة الدنيوى أساسا لنضارة الأخروى دائما وفتحت آفاقا أخرى للسمو الإنسانى، والرفعة الوجودية، أوسع من حدودنا القصيرة فى الدنيا.

وفى نهاية هذا الكتاب أجزم أننى قد قضيت وقتا ممتعا أثناء عملى أستاذا بكلية الآداب والتربية بجامعة عمر المختار عام ١٩٩٧، فى التنقل بين زهرات الشعر الليبيى النضير ولقد صحبت فى هذا العام الأستاذ الدكتور إبراهيم أبو تبر هذا القلب الكبير الذى علمنى معنى الحب، وكشف لى عن أسرار كثيرة فى ليبيا الحبيبة،فقد عرفنى على قلب هذا البلد الجميل قرية قرية، وقبيلة قبيلة، وله الفضل  فى معرفتى بكثير من الشعراء الليبيين الكبار، بل ورجالات ليبيا الكبار الذين احتفظوا بكيانهم الإنسانى الأصيل فى الظل بعيدًا عن دهاليز سياسات بلادهم التى لم يرضوا عنها لحظة واحدة،فقد كانوا وطنيين شرفاء بحق،فلهم منى على البعاد- بعد كل هذه السنوات التى مرت على قلوبنا وعقولنا وأرواحنا  والتى لم ير أحدنا الآخر ثانية منذ عام ١٩٩٧ - كل الود والإجلال،أقطف لهم من  دماء قلبى وردة وفاء نفاحة بشذا الحب القديم الجديد أبدا، فبفضلهم تطلع قلبى وعقلى  إلى رصد  خفقات شجية للوجدان الجمالى الليبيى، وكيف تأمل قلبه وروحه وثقافته من خلال الوقوف أمام السحر الأزلى للمرأة التى هى الحبيبة والأم والزوجة والإبنة بل هى الحياة جميعا من ألفها حتى يائها، فكل ماهو أنثوى يشدنا إلى أعلى.فالنساء رياحين الدنيا وكلنا مشغول بشم الرياحين فهن مراوح القلب، وسلوة الروح، وعزاء وجودنا فى هذه الدنيا القصيرة.

## المصادر والمراجع


د. زكريا إبراهيم، مشكلة الحب، مكتبة مصر ، ط٢ ، ١٩٧٠ .

مصطفى صادق الرافعي ، السحاب الأحمر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٨ ص٣٢-٣٣ .

د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، ص٣٣-٣٤ ، ٢٨٩ .

د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، مكتبة مصر – القاهرة ، ص١٧ .

ابن حزم الأندلسي ، طرق الحمامة ، ص٣٦-٤٦ . وانظر أيضا: د . مصطفى عبد الواحد ، دراسة الحب في الأدب العربي،دار المعارف ، مصر ، ج١ ، ص٩٧-٩٨ .

د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، ص١٥٣ ، نقلا عن Platon : " Le Banquet ٢١١-٢١٢ , " .

د . قاسم حسين صالح ، سيكولوجية الحب ، آفاق عربية ، العراق ، السنة١٢ آذار ، ١٩٨٧م .

أفلاطون ، الوليمة ، Platon : Le Banquet ٢٠٣ b-c ، نقلا عن د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، مرجع سابق ، ص١٤٥-١٤٦ .

المرجع السابق ، ص٥٥ .

د . مصطفى ناصف : النقد العربي نحو نظرية ثانية ، ص١٦ .

مصطفى صادق الرافعي ، رسائل الأحزان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ص١٠٠ ، ١٠١ .

ابن حزم الأندلسى، الأخلاق والسير فى مداواة النفوس، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور الطاهر مكى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨١،ص١٧٦.

ابن حزم ، طوق الحمامة ، مرجع سابق ، باب الإشارة بالعين ، ص٣٢ .

عبد اللطيف شرارة ، فلسفة الحب عند العرب ، ص١٦٠ .

مصطفى صادق الرافعي ، رسائل الأحزان ، مرجع سابق ، ص٦٤

د . عبد اللطيف شرارة ، فلسفة الحب عند العرب ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٠م ، ص١٥٧ .

١٧ - F Mietzsche : " Le Gal Savoir " ( Cite par Simonede Beauvior )

نقلا عن د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، مرجع سابق ، ص٢٣٦-٢٣٧ .

١٨ ـ مصطفى صادق الرافعي : أوراق الورد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج١٠ ص١١٨ .

ـ د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، ص٢٨٢-٢٨٣ .

٢٠ ـ مصطفى صادق الرافعي ، أوراق الورد ، مرجع سابق،ص١٥٥ .

٢١ـ د. إيليا حاوي، ابن الرومي ، فنه ونفسيته من خلال شعره ، بيروت ،لبنان ١٩٨٠ص ٧٥ ، ٧٦.

ـ د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، مرجع سابق، ص٢٤٦ .

٢٣ ـ ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص٢٠-٢١ .

٢٤ ـ زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، ص٢٩٦ .

٢٥- د . شوقي ضيف ، الحب العذري عند العرب ، ص١٧ .

٢٦- د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، ص٢٢٤-٢٢٥ .

٢٧- د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، مرجع سابق ، ص٢١٣ .

٢٨ - ابن حزم ، طوق الحمامة ،مرجع سابق ص٢٨ .

٢٩- ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص٢٧-٢٨ .

٣٠- ابن حزم،الأخلاق والسير فى مداواة النفوس،مرجع سابق ص ١٧٥

٣١- ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ،مرجع سابق ص٦٢ .

٣٢- د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، ص٢٨٦ .

٣٣- Louis La velle , “ De l’acte “ La Dialectique de L’eterand . (present ) , Paris , Aubier , ١٩٤٦ . ٥A ٥٢٠

نقلا عن د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، ص١٩٥ .

٣٤- د . زكريا إبراهيم ، مشكلة الحب ، مرجع سابق، ص٢٨٠ .

٣٥- د . شوقي ضيف ، الحب العذري عند العرب ، القاهرة، ٢٠٠٥ ، ص٢٩ .

٣٦- د . شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص٣٤-٣٦ .

٣٧- د . شوقي ضيف ، الحب العذري عند العرب ، ٢٠٠٥ ، ص٢٠-٢٥/٢٦ .

٣٨- المرجع السابق ، ص٢٦ .

٣٩- د . نوري حمودي القيسي ، الحب والعشق والتوجه الاجتماعي في التراث العربي مجلة آفاق المعرفة ، العراق ، ع٩ ، أيار ، ١٩٧٦م ، ص٤٧-٤٨ .

# الفصل الثاني

# المختارات الشعرية

تتناول هذه المختارات لعدد من الشعراء هم :

راشد الزبير السنوسي .

عبد الحميد القمودي.

علي عبد الشفيع الخرم .

خالد زغبية .

محمد خليفة التليسي .

علي فهمي خشيم .

أبو القاسم خماج .

محمد صدقي عبد القادر.

# قصائد من شعـر

# "راشد الزبير السنوسي"

تباعدي.

حسناء من بنغازي .

حيرة .

ذات الرداء الفستقي .

زورق على بحيرة جينيف .

لعينيك .

شعرها .

غرورها .

قاطفة الزهر .

من كان غيري .

مع الذكرى .

مجون.

ليت الهوى لم يخلق.

ابنة العشرين .

الخمسون .

زهرة البنفسج .

صوت .

لحن وقيد .

مغالطة .

هذه أنت .

صورة .

غدا للحب .

فراشة .

لك وحدك .

لكل لقاء أجل .

وردة .

صليبية .

## تباعدي

تباعدي تباعدي

عني، وعن خواطري

وابقَيْ بها حكاية

رائعة المآثر

الحب عندي قيمة

تسمو بها مشاعري

لا لعبة طائشة

بالنهد والغدائر

أو كلمة يلوكها

في الليل، فم فاجر

الحب عندي دعوة

للموت للمخاطر

ورحلة مرهقة

ليس لها من آخر

قصيدتي أروع

من ملهمة المشاعر

## حسناء من بنغازي

في الحق. . إنك فتنة صرخت بما

يغري البعيد وإن تردد مقدما

عشرون. . في العمر الطري وصحة

وتورد – رغم العبوس – تبسما

ونضوج في الأوج الشهي كأنه

حد الحدود لما يثير ترنما

أأقول رأيا. . واسمعيه تسامحا

فالحق فيه وإن تراءى مؤلما:-

. . لو صار للتفاح نضجا كاملا

فيكاد يسعى وحده يبغى فما

ثم استطال به الرجاء مناديا

والعين ترقب يانعا. . وبلا حمى

لكنه الممنوع منع تأدب

عمن رنا مستطلعا مستفهما

أفتعلمين بما يصير له غدا ؟

إن طال بالتفاح نضج دون ما. .

رحماك. . فتنتك المثيرة ألهبت

قلبا تضج به المشاعر والدما

وأكاد لولا خشية من غيرنا

أفتي:- حرام أن يظل مكمما

و... ... ... ...

والحق أنك فتنة. . وتكاد أن

تغري الخجول بها. . وتمنح قيما

والقلب. . والعين التي شخصت له

كم عذباني فيك. . آه منهما

نشرت بجريدة الحقيقة بتاريخ ١٩٧١/٣/١١م

# حــيرة

تناديني أستاذها في حنان

وفي صوتها كل دل الغواني

وتمضي وفي نفسها حيرة

تسائلني عن عميق المعاني

وماذا عن الحب، ما خطبه

وما يفعل الحب في العنفوان

وما كان لي في دروب الحياة

من الحب أو رائعات الحسان

وهل هبت الريح يوما فألوت

بما كان في شاهقات القنان

وهل مسني طائف من جنون

فغادرني شاردا عن كياني

وكم لي في العمر من غزوة

مظفرة بالمها والقيان

فقلت أعابثها قد بلوت

وقاسيت قبل حلول الأوان

وجربت من رعشة في الفؤاد

وعانيت من عقلة في اللسان

وكم جمعت من زهور يدي

وكم عصرت من كروم الجنان

وجئت وقد خمدت جذوتي

ولم تبق من فضلة في الدنان

لغيري يا أخت هذا الجمال

وما فاض عن نبعه من حنان

كفاني من سحره حيرة

تسائلني عن عميق المعاني

## ذات الرداء الفستقي

منذ متى لم نلتق ذات الرداء الفستقي

ما عاد في وسعي أن أحجب يوما قلقي

وضاق بالصدر فناداك بصدري خافقي

يا بسمة الفجر أطلي بسماء العاشق

واستمعي لحن الهوى من قبل أن تنطلقي

فعله يرجعك اليوم فينأى. . . . أرقى

ويطلق الروح لتمضي حرة في الأفق

وتنهل الخمر التي تقطر عند الشفق

في شفتيك انسكبت فاحمرتا في ألق

وفتق الورد على خديك عند الغسق

مهجته في رقة ضخمها بالعبق. . . .

فامتزجت حمرته في فتنة باليقق. . .

وأطلعت حسنا مثاليا بهي الرونق

أسلمت يمناك بفؤادي فيه ترفقي

وقربي وصلك من هذا الشجي الوامق

فانه يخفق في جهد ببعض الرمق

وقبل كم كان شقيا مولعا بالنزق

يغازل النسمة في غدوتها للمشرق

يداعب البدر بزهو شامخا لم يطرق

واليوم قد صار أسيرا لسهام الحدق

يسبح في بحر من السحر اتقاء الغرق

فيلعب الموج به وسط ظلام مطبق

يقذفه حينا إلى القاع دليل الحنق

وتارة يطعمه وصلا بشتى الطرق

وكلما قارب أن ينجو هوى من حالق. .

من ديوان : من ديوان قيثارة الخلود

# زورق على بحيرة جنيف

لا تلوميه إذا اهتز ومال

زورق يسبح في عرض القنال

ما له يختال في رقصته

أمن الموج تراه أم دلال

راح ينساب وفي أعطافه

رقدت هيفاء من غيد الشمال

شق صدر الماء فانساب على

جانبيه الموج مسحور الخيال

وتدانى عله يدركه

طالبا درته دون كلال

أفلتت من قاعه فانفرجت

بسمة الفجر إليها والهلال

وتلقتها تباشير الصبا

بالتحيات وأنفاس الجمال

كلهم يمنحها ما عنده

طامعا منها بشئ من وصال

أيه يا ليليان ما أعذبها

بسمة أشهى من الماء الزلال

جئت أصطاف على لذتها

فإذا القلب ضرام واشتعال

وإذا الأحلام من هجعتها

توقظ الليل على ألف سؤال

وإذا الخافق صب كلما

هدأته النفس يأبى الامتثال

جامع الآمال مشبوب الهوى

لم يعد يعرف معنى للمحال

من ديوان النغم الحائر ١٤/٩/١٩٦٦م

# لعينيك

لعينيك أغزل ضوء القمر

واهدي الندامى رفيف الزهر

واصنع من نجمة كأس عطر

بحافاته يستحم السحر

وأرشف من وردة ريقها

لا نعش في الصدر حلما خطر

وأرحل في نسمة عطرتها

طيوب الماء لأروِّي النظر

ألون من شفتيك الحياة

ويرسم شعري بديع الصور

واستلهم الوحي من ناظريك

وعيناك للقلب أغلى وطر

أيا حلما عشقته الليالي

ندىً الرؤى عفويَّ الصور

ويا ذوب أغنية أرسلتها

صبابات ناي وشدو الوتر

ويا آهة سكبتها الليالي

بثغر الصباح فهام البشر

أعندك للشعراء التفات

ففي كفهم ومضات القدر

ألقيت بمهرجان جمعية رفيق

ببنغازي ١٩٦٧/٨/١٨

# شعرها

نام مسترسلا على كتفيها

حينما ضمه الشريط إليها

شعرها ذلك المدلل ينسا

ب رقيقا معطرا وجنتيها

نزق تارة ينام على الخد

وطورا يهيم في شفتيها

يرقب اللمسة الحنون ليرتاح

إذا جمعته في راحتيها

فإذا أبطأت وثار به الشوق

أدار الحديث في مسمعيها

وشوشات تضئ في ليل عينيها

صباحا يضفي بهاء عليها

من ديوان

أنفاس الربيع

يناير ١٩٦٨

# غرروها

غرروها فاستكثرت أن أراها

ليت شعري ماذا جنته يداها

أجفاء وقد حفظت ودادي

وصدودا وقد عبدت هواها

أنا ما لي على السلو إحتمال

وكفى ما لقيته من أذاها

هدهدتني جفونها فغفا القلب

على بسمة تنير الشفاها

وتمنى لو ينقضي العمر حلما

تائها فيه لا يروم انتباها

وتراءت له طيوف عذاب

تتهادى مواكبا في علاها

غلفتها الأوهام بالسحر

فانسابت السحاب زورق أحلام

وسارى النسيم يرعى خطاها

وتجوب السماء نشوانة الخطو

فتهوى النجوم صرعى هواها

ومن البدر تشرإبٌّ دروب. . .

شعشع الحب كأسه في مساها

فتبدت وقد تلفعت النور

وتاهت جذلى ببرد كساها

دررا في غلائل من غمام

ضاحكات السنا جميل رؤاها

يا حبيبي عبدت في وجهك الحسن

فهلا اتقيت فيَّ الإلهَ

خطأ جئته وأنت حبيبي

حرم النفس من لذيذ مناها

أترى باعدوك يا حلو عني

لن يرى العاذلون مني آها

فعلام الماضي يسعر نارا

تكتوي مهجتي بحر لظاها

فدع اللوم والعتاب بعيدا

وكفى النفس من عذاب شجاها

فزمان ذاك الذي قد تولى

بأمان ما اشتقت يوما سواها

نشرت بمجلة الرواد

فبراير ١٩٦٥م

# قاطفة الزهر

" إلى تلك الممرضة الحسناء تذكار أيام حلوة قضيناها معا ":-

| | |
|---|---|
| إلى أين ماضية مسرعة | أجابت إلى الزهر كي أجمعه |
| فما أجمل الوقت يا شاعري | مع الزهر أقضيه ما أمتعه |
| فقلت أيا زهرة الروح مهلا | أيا بسمة بالمنى مترعه |
| ألا جئت لي ذات يوم بذكرى | فأحضرت لي فلة يانعة |
| فقالت: سأحضرها في يدي | سأقطفها غضة ممرعه |
| وأهديك زهرة فلي لتغدو | كقلب منحتك ما أضيعه |
| تهيم بهذي. . وتهفو لذي | فلله قلبك ما أخدعه |
| أجبت. . فؤادي فراشة روض | تحب الجمال وتهوى الدعه |

تحوم على كل حسن نضير وتبغي الرحيق لكي تجرعه

ولكن قلبي سليه يجيب لسمراء حبي فلا منفعه

فلست أشارك فيه ولكن أقدس حسنا ومن أبدعه

# من كان غيري

١٩٧٠/٩/٢١م

من كان غيري يفتديك بنفسه ... يسقيك أحلى خمرة من كأسه ؟!

تأوين إن عذب اللقاء لحضنه ... ويقيك مس الحادثات ببأسه

باق على حفظ المودة عمره ... وأرق من نسم الربيع بحسه

أنت له الدنيا بكل بديعها ... غده – يراك – مواصلا في أمسه

يهواك أنت وأنت غاية قصده ... يا حلوتي برجائه وببأسه

غناك أعذب ما ترنم شاعر ... ببديع شعر يستبيك بنسبه

يعليك عن دنيا الضلال بحبه ... يسميك عن أصل التراب بقدسه

وينير دربك للحياة بنوره ... ويقود روحك للخلود بقبسه

# مع الذكرى

صيف ١٩٦٤

أين من عمري لياليه الجميلة ؟

أين أزهار أماني الظليلة ؟

أين أنغامي. . وشدوي في الخميلة ؟

مثل عود يترنم

وكنار يتنغم

بلحون عربيات أصيله

أين ماض كان بالأمس القريب ؟

وصباي الغض. . كالغصن الرطيب

أتغنى للنشاوى. . لحبيبي

آه ما أحلى الأغاني

حين تشدو بالأماني

تزرع الأفراح في الصدر الرحيب

أينها اليوم جميعا يا زماني ؟

لم يعد لي غير يأسي وهواني

غير شوق عابث يطوي كياني

فكأني دون رشدي

سائر من غير قصد

تهت. . لا أدري زماني ومكاني

أنا كالعطشان – ينبش في التراب

انبش الماضي. . وأيامي العذاب

فأرى ذكراك. . والذكرى عذاب

تسفح الدمع على نعش الشباب

ذكرتك. . حينما ألقاك في دربي سائر

بحزام. . بشريط أبيض زان الضفائر

- كنت تحلمين إلى نهديك " محفظة " الدفاتر

كنت خجلى من عيوني

كنت تخشين جنوني

- مثل خوفي عنك من عيني مغامر

وذكرتك. . وأنا في الحقل جاث مستكين

حين تنطلقين جذلى – مثل طفل – تلعبين

حين تصطنعين إسورة بزهر الياسمين

حين تجنين السنابل

وتناغين البلابل

وعلى الأعشاب حينا ترتمين

وبكت عيني وفاض الشوق في أعماقيه

وأنا ألمح أشياءك حولي باقية . .

- ها هنا أرجوحة كانت بقرب الساقية

وهنا كان مقامك

وهنا شب غرامك

حين همنا . والتقى شوقك مع أشواقيه

وذكرتك . والأسى يجرحني – حين خطبت

يومها حاولت لقياك . لأشكو ما فعلت

كنت عاجز . طالما الجدران، تحميك، وأنت

ربما كنت سعيدة

بين أحلام جديدة

فرجعت . والمنى تنحر في عالم صمتي

مر بي موكب أفراحك يختال رويدا

فتلاشيت على الأرض وريدا. . ووريدا

- حين وارت قدم الموكب آمالي بعيدا

آه من ثورة نفسي

كلما أذكر أمسي

- كتب الله بأن أحيا وحيدا

قد حببتك. . بأحاسيسي، بأعصابي، بفكري

وذكرتك.. طالما الأيام من عمري تجري

فاذكريني. . بعد أن تسحق كف الموت عمري

واذكري إخلاص قلبي

واشهدي عن صدق حبي

واسألي الغفران – عما كان – عند صخور قبري

# مجون

٢٥ أكتوبر ١٩٦٥م

وقفت تسائل في مجون

وتكسرت منها الجفون

أأنا التي أرضت غرورك

يا صريع هوى العيون

فأجبتها وبمن سواك

تدله القلب الحزين

فلقد ملكت قياده

مذ قد تملكه الحنين

وغدا لا شئ يحركه

سوى ما تأمرين

إن لاح في الأفق الضياء

يخال أنك تبسمين

أو رقت الأنسام ظنـ . . . ـك عندها تتنفسين

وإذا ترنمت البلابل

فوق هامات الغصون

حسب الغوى غناءها

ترجيع ما تترنمين

## ليت الهوى لم يخلق

من شعر حسن السوسى

معارضة لصديق شاعر، نشر قصيدة بعنوان " ذات الرداء الفستقي "والشاعر السوسى يقصد قصيدة راشد الزبير السنوسى:

باالله ، يا ذات الرداء الفستقي بفؤاد شاعرك الرقيق ترفقي

لسواك لم يهتف بلحن قلبه وبغيرسهمك – في الهوى– لم يرشق

أنت التي شغلته عما حوله ورمته في هذا الخضم المغرق

قد كان يهزأ بالغرام ، وأهله والآن، يهزأ بالذي لم يعشق

ويقول – لما أن بلاه بنفسه - قول الفتى المتأكد ، المتحقق

ما العيش ، إلا أن تهيم بنظرة وتذوب في لهب الغرام المحرق

دنيا بغير الحب ، سجن ضيق ماالعيش في سجن كئيب ضيق ؟

هذا كلام فتاك ، حين سألته عن أمره ، وعن الرداء الفستقي

أما أنا ، فلقد عشقت ، وإنما لما ذوى عودي ، ورقش مفرقي

حورية سمراء ، في نظراتها لين الضعيف ، وعزة المتفوق

خطرت وقد لعب الدلال بعطفها فكأنما سقيت بماء الزئبق

نشوى ، تميس بحسنها ، وشبابها ويح القلوب من الصبا المتفتق

خفق الفؤاد لها ، وصفق والها يا ليته بغرامهالم يخفق

لكنني، ماذا أقول لناظر ما زال،حتى زج بي في المأزق ؟

قد خضت في بحر الغرام بأمره ، حطم زورقي حتى إذا أوغلت

أفكنت أطمع أن أفوز بوصلها ؟ هيهات ، بين مغرب ، ومشرق

لو كنت أملك أن أذوب خيالها لدفعته عني ، ولما أشفق

لكن أراني ، كلما قلت ، ارعوى قلبي،يزيد إلى الحبيب تشوقي

إني لأعلم أن حبي فاشل وبأنني قد كنت غيرموفق

أين الخريف،من الربيع وزهره ؟ والليل،من هذا الصباح المشرق

ولذا قنعت من اللقاء ، بطيفها ومن الغرام ،بزفرة المتحرق

وبأن أراها – في الحياة – سعيدة	جذلى، كعصفور صغير مطلق

ومضيت،أخنق في الفؤاد عواطفي	وأميتها بيدي ، فعل الأخرق

ورجعت – من رجل رقيق شاعر -	كالفاتك السفاح، واللص الشقي

وعواطف الإنسان ، أحسب أنها	أولى بأن تبقى– إذا شئ بقى –

لكن،أعود – متى يعود تلهفي -	فأقول يا ليت الهوى لم يخلق

وأروح ، أنشد سلوتي من حبها	في السفح أوفي الجدول المترقرق

أو في المروج،وزهرها ، وعبيرها	أو في الخضم العارم المتدفق

أو في الضحى إن شعشعت شمس الضحى	أو في المساء ، ونجمه المتألق

وتركت دنيا الفاتنات ، وما أنا لست تاركها،إذا لم أعشق بها

ما عاد نم بحر المحبة سالما يوما وعاد إليه، غير الأحمق

# ابنة العشرين

مهداة إلى الصديق السنوسي العنيزي

٣١ / ١٢ / ١٩٦٦

همت في عينيك لما انطبعت

فيهما فرحة عشرين ربيعا

وتمنيت لو أني طائر

يقطع العمر بمغناك ولوعا

وتمنيت لو أني بسمة

ترشف الثغر إذا رام رجوعا

وتمنيت لو أني بسمة

تنعش الوجنة إن مرت سريعا

وتمنيت لو أني آهة

تضرم النار إذا مست ضلوعا

وتمنيت لو أني ضمة

تسكب الآمال في الصدر جميعا

ثم تلقيني على صدرك في

هجعة أحسبني منها صريعا

أنقع الغلة من نبع الهوى

فيذوب الحرف في الثغر خشوعا

وتمنيت لو أني نظرة

تقبس النور إذا انساب دموعا

وتمنيت لو أني زورق

حطم المجداف وأنهد قلوعا

واحتوى بالشط في مرفأه

بهجة الروح فأنسته رجوعا

وأفاضتها على أحلامه

لحظة تزهر للكون ربيعا

# الخمسون

خذي ما شئت، أو فذري        فما لي فيك من وطر

لقد كلفتني شططا        بهذا الدل. . والخفر

فصار هواي غير هوا        ي، قبل الشيب. . . والكبر

وبت، كأنني: بغدا        د. . . ، تحت سنابك التتر

عرفت عيادة الأسنا        ن، بعد عيادة النظر

فإن أنكرت ما أنكر        ت، من مرحي، ومن أشري

فتلك جناية الخمسيـ        ـن، حين تتبعت أثري

كأني لم أكن من قبـ        ـل: ماضي العزم. . والبصر

ولم أستهو فاتنة        بوجه مشرق. . . نضر

# زهرة البنفسج

تضوعي، تأرجي　　　يا زهرة البنفسج

فأنت راحة العيو　　　ن ، وابتهاج المهج

في لونك الحالم والسـ　　　ـكون ، والتأرج

يخجل منك الورد فهـ　　　ـو دائم التضرج

ويطرق القرنفل الـ　　　باهت . . . إطراق الشجى

ويصمت النرجس صمـ　　　ـت الواله المنزعج

يرنو إليك نظرة الـ　　　أبله عند الحرج

فيضحك الفل بثغـ　　　ـر ناصع مفلج

يا زينة الروض . . .　　　ويا لطيفة التوهج

حديثك الهامس كم أذكى اللظى في المهج

وعطرك الحالم كم نبه أحلام شج

يا حلوة الخطرة فو ق غصنك المختلج

ملكت بالرقة والـ ـلطف. . . على منهجي

عندك سر الليل يخـ ـفيه بطرفه السجى

وهمسة النجوم في حديثها الملجلج

وقبلة الطل على خد الصباح الأبلج

ذكرتني بما نسيـ ـت عهده من حجج

بحلوة كانت على عهد الصبا المنبلج

تفتن بالنظرة، والـ ـلفتة. . . والتغنج

مثلك في جمالها الـ ـمستتر التبرج

أو أنت مثلها في ثوبها البنفسجي

# صوت

توهم أنه سمع صوتها – بعد غياب طويل واحتجاب مرير – فنظر حوله. . فلم يجد غير الصدى الذي توهمه يرن في مسمعه.

سمعت صوتك الندي فما ملكت مقودي

وما احتواني موضعي ولم يسعني مقعدي

وقلت: " يا عين انظري " فلم تجد من أحد

وقلت: يا شوق أفق ويا شجونِ عربدي

ويا ظنون في سما وات رؤاي احتشدي

وأنت يا أذن بهـ ـذه اللحون انفردي

عادت إليك، بعد أن فقدتها من أمد

رقيقة. . كمثل شد و البلبل المغرد

فجددي عهدك بالـ ـلحن القديم، جددي

واسترجعي البهجة فالـ ـبهجة زاد المجهد

ترفقي يا عذبة الـ ـلحن بقلبي الجلد

ما غبت عنه – منذ أن غبت -. . . ولم تبتعدي

فأنت فيه جذوة وهاجة التوقد

وأنت في صورة الحيا ة في سماء خلدي

وأنت في السمع صدى لحن طروب غرد

وأنت عصفور ثوى على شغاف الكبد

وذبذبات صوتك الـ ـحلو، نشيدي الأبدي

فما الغياب يا حبيـ ـبتي غياب الجسد

## لحن وقيد

أنت لحن على فمي وقيود بمعصمي

ولهاث مغمغم في مدى حلقي الظمى

وشواظ معربد في كياني، وفي دمي

جذوة الشوق، لم تزل تتلظى بأعظمي

كلما قلت: أخمدت أسرفت في التضرم

فهي في القلب والحشى وهي في الكف والفم

كل ليل، وإن دجى فيه أشعاع أنجم

غير ليلي فنجمه جذوة من جهنم

أنت سعرت نارها فاحلمي الآن وانعم

قلبك الصلد ظالم مسرف في التحكم

فاتقي الله مرة في حبيب متيم

ضمدي جرح قلبه بحنان، ولملمي

## مغالطة

أغالط فيك إحساسي وظني وأحتمل الإساءة. . . والتجني

شكوت إليك منك فلم تُغثني وثبت إليك منك فلم تُعني

وأسمع فيك عذالي ولكن لغير العاذلين صرفت أذني

تقول لهم ولي – أبدا – حديثا فأنت – لهم ولي – شغل مُعنِّي

تروعك لهفتي فتزيد زهوا بما أُوتيتِ من دلٍ وحُسنِ

كأنك لم تكن تدري بحالي وقلبك لم يكن يُخبرك عني

بطبعك دائما يزداد جهلي وأنت بمهجتي تثوي وجفني

فقل لي ما الذي ترضاه عني وقل لي ما الذي تأباه مني

أغالب فيك أشجاني وشوقي وأغزل من خيوط الوهم لحني

ورغم جفاك لم ينكرك قلبي ورغم أذاك لم يلفظك ذهني

فأنت أحب من قلبي لقلبي وأنت أعز من عيني لعيني
ذ

ولكني أغالط فيك نفسي وأحتمل الإساءة والتجني

فحتى كاد فيك يشك قلبي وحتى فيك كاد يسوء ظني

أنام إذا غفوت على الترجي وأصحوا إن صحوت على
التمني

# هذه أنت... ؟

هذه أنت ؟ .. بعد طول غياب
ذ
يا أعز الأحباب والأصحاب

هذه أنت ؟ .. لا أصدق عيني
إن عيني كثيرة الارتياب

هذه أنت ؟ .. يا لصحوة قلبي
من سباتي .. ويا لطول عذابي

لست أدري من أين أبدأ، إني
حائر بين فرحتي واكتئابي

عدت أخرى ؟ لشوقتي وسهادي
أم ترى عدت عودة الأواب ؟

هذه الزورة الحبيبة لم تخـ
ـطر ببالي،ولم تكن في حسابي

خطفت نظرتي، وشدت لساني
ومشت في دمي ، وفي أعصابي

فعلى اليأس كنت وطنت نفسي ... ومن الوصل قطعت أسبابي

حينما لمت– فجأة– وقف الكون ... ، وقد جف في لهاتي لعابي

وتوالت بخاطري ذكريات ... كسطور تداخلت في كتاب

حلوة أنت ما تزالين كالأمـ ... ـس،ومازلت في شباب الشباب

بارك الله صدفة جمعتنا ... في رحاب، سقيا لها من رحاب

سنوات الهجر العجاف جميعا ... أخصبت – فجأة – على أعتابي

فإذا بهجة الربيع بقلبي ... وإذا خضرة الربيع ببابي

لا أبالي إن كان يسعد قلبي بك – من بعد – أو يطول اغترابي

حسبه أن رآك يا منية النفـ ـس ، وأحلى مطالبي ورغابي

لم أفكر في أن أعاتب أو أشـ ـكو ، فلا وقت عندنا للعتاب

إن تكون معي، فما غاب شئ كل شئ مهيأ الأسباب

أو تكوني معي، فلي بهجة الدنـ ـيا، وعندي طفولتي.. وشبابي

فاملئي الآن – بالمحبة – كأسي منذ حين فقدت طعم الشراب

# صورة

مرت بنا ، يا حسنها رشيقة، مؤتنـقة

كزهرة ، نادية أو نجمة ، مؤتلقة

وخدها ، وثـغرهـا كوردة ، وزنـبـقـة

مزهوة ، بـحسـنها والقامة الممـتـشـقـة

وبالجمال ، والصبا أضفي عليه رونقة

ومـقـلة ساحرة سهامها ، مفوقه

وبسمة عن ذلك الشهي ، مشرقة

وبرعمين ، أثمرا بندقة ، وبندقة

وبالعيـون حـولها شاخصة ، ومطرقة

وبالقلوب خلفهـا راقصة ، مصفقة

مرتبنا كما تمر ظبية، منعتقة

في بنطلون فوقه غلالة، ملتصقة

وحول خصرها الذي وهي ، تشد منطقة

وشعرها، جدائل مع النسيم مطلقة

وحول جيدها قلادة عليه مطبقة

فقلت:ما أجملها حمامة ، مطوقه

فالتفتت ، وابتسمت وانفلتت ، منطلقه

ولم تزل صورتها بـخاطري معلقه

# غدا ... للحب

مضى عام على لقياك ،

يا سمراء يا هند

براني بعدها وجد ،

وأرق مقلتي سهد

ولا طيف لكم يسري ،

ولا كتب لكم تغدو

فيا أشواق ما الهجران ؟

ما النسيان ؟ ما الصد ؟

جراحات نحس بها ،

وما لقرارها بعد

تلاقينا ، وران الصمت ،

لا أخذ ، ولا رد

فكل حديثنا فكر ،

تلم بنا ، وترتد

سوى جمل بلا معنى ،

كأنا لم نزل بعد ...

غريبين ، فلا وصل ،

ولا هجر ... ولا ود

ولا هي زهرة نشوى ،

يغار لحسنها الورد

ولا أنا طائر كلف بها ،

لجمالها ، أشدو

لقد شطت نوى ،

ومشى على ما بيننا البعد

وأصبح زادنا ذكرى ،

لها الأضلاع تنقد

وأحلاما يزوقها خيال ،

لا هث ، يعدو

وأمنيات مغرورين

لـيـس لحصرها عد

فيا لقيا ظفرت بها ،

ولم يسبق بها وعد

سعدت بها ،

ولم يبرح لها في كبدي برد

ولو طالت – هداك الله – طال الشكر والحمد

فهل ألقاك ثانية ؟

وهل يتجدد العهد ؟....

ونرجع مثلما كنا ..

وحبل الود ممتد ؟

وهل من موعد ؟ ...

قالت : أما بعد الهوى بعد ؟

# فراشه

هي مثلما رف الفرا ش ومثلما خطر النسيم

مرت فأزهر دربها وتبرج الحسن الوسيم

وصحت عيون الذكريات وأورق الشوق القديم

حسناء ترفل في الصبا وبعودها يجري النعيم

لا البدر يشبهها ولا حلمت برونقها النجوم

غلقت بمشيتها الخوا طر، والنواظر ، والحلوم

ولمثلها تهفو النهى وبمثلها يصبو الكريم

طلعت وفوق صباحها من شعرها ليل بهيم

وتخطرت فإذا غصون الأيــك يعروها الوجوم

ورنت كما ترنو الغزا لة عاقها رشا فطيم

وتحدثت فشجا البلا بل ذلك النغم الرخيم

وتنفست فاحمر خـد الورد واستحيا الشميم

قلبي فراشة روضة أبدا بحومتها تحوم

تحيا على قبل الزهو روما تبرعمه الكروم

لا يشتكي وهو المعذب في الهوى وهو الكليم

وبحده من طرف كــل جميلة جرح أليم

وألومه ، لكنه لا يرعوي أو يستقيم

هو صبغة الله الحكيم فجل بارؤه الحكيم

للحسن يهتف إن بدا وبكل فاتنة يهيم

# لك وحدك

عاهدتني ، ونقضت عهدك ووعدتني ، ونسيت وعدك

وقطعت أسباب المودة بيننا، وأطلت صدك

وسمعت ما قال العذو ل ، تجنيا ، ومنعت رفدك

أملت فيك ، وإنما قد ضاعت الآمال عندك

وأنا الذي استوحيت منك قصائدي ، ونشرت حمدك

وأغار إن مر النسيم معابثا باللطف خدك

وأخاف من نفسي عليك ومنك حين تمد مدك

يا مستبدا ، بالنهى لما هززت لهن قدك

وحشدت سحر المقلتين ، معززا ، للنصر، جندك

وغزوت أقطار القلوب ، مؤكدا فيهن مجدك

ورفعت في دنيا الجما ل على روابي الحسن بندك

قد طال سهدي في هوا ك ، فلا أطال الله سهدك

ورعى شبابك مزهرا وحمى على الخدين وردك

وأفاض من منح المحاسن ، فوق ماقد صار عندك

ورمى قلوب العاشقين بغلة ، تشتاق وردك

وبقيت لي وحدي، فاني لم أزل لك ، أنت وحدك

## لكل لقاء أجل

وعهدي بها عذبة كالصباح ، مرفهة ، كالربيع الخضل

تمور النضارة في عودها ، ويشرق في مقلتيها الأمل

تهش إليها ثغور الزهور ، وتبسم حتى حواشي السبل

وترقص حول خطاها النهى ، وتلهث خلف مداها المقل

وضيعتها في زحام الحياة ، فضيعت فيها رفيف القبل

وفارقت فيها مراح الشباب ، وودعت فيها حديث الغزل

ورجيتها في نجوم السماء ، وأملتها في خرير الوشل

وحومت كالطير حول الرياض ، ولعلي أرى بينها من مثل

وعدت ، وفي خاطري لهفة ، وشوق يؤرقني لم يزل ..

وشاهدتها بعد عام مضى ، كئيبا كليل الشتاء المطل

فانكرت منها شحوب العرار ، وإطراقة الشادن المختبل

فرفت على ثغرها بسمة ، كمسرجة الراهب المبتهل

وفي مقلة كعيون الظباء ، تزاحمت الذكريات الأول

وفيها وجدت الجمال الكئيب ، كذاك الجمال الضحوك الثمل

فما وأد الحزن فيها الصبا ، ولا قتل اليأس منها الأمل

وألقيت بالشوق في حضنها ، وعاودت تمثيل دور البطل

ومر بنا الوقت لم ننتبه ، له ، إن يكن طال ، أو لم يطل

وقلت وقالت فجرح الهوى		على عهده بعد لم يندمل

وقلت لها: هل لقاء جديد ؟		فقالت: يجوز ، من المحتمل

فقلت : متى يا ترى نلتقي ؟	،	فقالت: لكل لقاء	أجل

## وردة

علي لسان صديق، رمت له إحداهن وردة في إحدى الحفلات، تجديدًا لصداقة .

أتحفتنا ، بالوردة الناضرة		وأنتِ ، أنت الباقة الزاهرة

فلم تزالي في عيون الورى		ندية ، مشرقة ، عاطرة

ويا رعي الله صبا ، ريقا		ومقلة ، ساحرة ، آسرة

وصان حسنا ، مشرقا ، فاتنا		صارت به أعيننا ، ساهرة

ولا رمى الله بداء ، يدا أهدت إلينا ، وردة ناضرة

أجمل ما يهدي إلى شاعر لا سيما ، إن كان من شاعره

وأنت ، قلب فيه ، طيب الشذى وملؤه ، عاطفة ، ثائرة

إني أهاديك بها ، قبلة على جناح النسمة العابرة

أطبعها فوق يد أحسنت إذا لوحت بالوردة العاطرة

وقبلت ، فوق الجبين الذي يفضح شمس الضحوة الباهرة

وقبلة ، من بعدها، قبلة حتى أعد القبلة العاشرة

أو تقسمي أنك يا فتنتي ما عدت ، لا غضبي ، ولا هاجرة

نبهت في الأعماق ، عهد الهوى أيقظت فيها النشوة الخادره

شكرا عليها ،ألف شكر ، فما أجمل ما أهديت يا ( ..... )

# صليبية

صليبك ، من جيدك الناصع تدلى على قدك الفارع

يرف سعيدا ، على برعمين أطلا ، ببستانك اليانع

صغيرا ، لطيفا ، أنيقا ، بدا يتيه ، بمعدنه اللامع

مكرا، مفرا ، فما يستقر فيالك من نازل ، طالع

ولا يستريح على حالة فلله ، من ذاهب ، راجع

يطيف هناك ، برمانتين ممنعتين ، عن القاطع

فيغفى على هذه ، ساعة ويثنى على تلك ، كالراضع

سعيدا ، بما نال من نعمة حبته بها ، ساعة الطالع

يقبل أو يحتوي أو يشم                فجوزيت من ماكر خادع

يعب من العطر، ما يشتهي                ويرشف من سلسل ، نابع

ولو ساقه حظه ، يوم إن برته يد الصائغ ، الصانع

إلى حوزتي " كردنال " و " قس " من الشعث ، ذي لحية خاشع

يجرح من لينه ، شوكها وقد غاب في بونها الشاسع

لمات من الغم ، تحت الركام ولا من مجير، ولا سامع

فيالك من حارس ، ساهر رقيب        ، يرد يد الطامع

فما فيهما ، مطمع للفقيرولابن السبيل ، ولا الجائع

مسيحية        ،أسرت مسلما فيا للكنيسة ، والجامع

فمن يفتديه ؟ إذا        لم تمنى بوصلك ، يا حلوة الطالع

" فهل في فؤادك من رحمة " لذي غلة ، غير ذي ناقع ؟

مخالفة اللطف – في شرعكم -        كما جاء في سفره الرابع - :

مخالفة ، ما لها من عقاب سوى رشفة الباسم الناصع

ألستم تقولون: مد اليمين كمد الشمال ،إلى الصافع ؟

فأولى بمن جاءكم لاثما بألا تردوه للشارع

تصدق علينا " وحق الصليب " الذي بات ، كالحارس الهاجع

وإلا تكن واهيا ، مهديا فكن لي معيرا، وكن بائعي

فاني ذو ظمأ ، مشرف على غاية الهالك الضائع

وحق صليبك، يا فتنتي وإنجيلك ، الجامع ، المانع

ترقي لعاشقك المستهام وتدنيه من ثغرك اللامع

سأجعله بيننا ، شافعا إذا كان لا بد من شافع

# قصائد من شعر

# "عبد الحميد القمودي"

جراح في شفاه .

أمواج .

عودتني .

عودة السندباد .

## جراح في شفاه البوح

آه لا تكوى ضلوعي

بلظى النيران ما خالفت أمرك. .

أيها الحب الذي علمتني الصبر. . .

وأن أحفظ قدرك. . . . . .

أنا في المحراب أجثو. .

وأصلي

أطرق الباب لعلي. .

انتشي من غمرة النور – متى تفتح بابك

آه يا حبي الذي تشمخ عن كل الذراري. .

وتداري. . . .

سرك الغامض في عمق انكساري. . .

وتواري. . . .

كل أشواقي التي تهفو إلى ضوء نهار. .

بعد ماذا ؟

تفتح الباب لصوتي. .

كي أغني للأحبة

كي يبوح القلب عما

كان يخفي من محبه. .

آه يا حبي

كفاني. . . لن أداري

فلقد طال انتظاري. .

لن أداري..

كبريائي فيك لا يجدي. .

فلن أبقيه حولي كالجدار. .

لن أداري. .

ما الذي تبغيه من صمتي

ومن طول اصطباري ؟ !!

- ألف عام وأنا أحيا وحيدا،

وغريبا بين أحبابي وصحبي. .

ألف عام، والأسى يمضغ قلبي. .

ألف عام وأنا. .

أكتم في الأعماق أشواقي، وناري. .

آه يا قلبي المعني. . .

من عذابات هوانا قد سئمنا..

غير أنا. . . .

لم نخالف – قط – أمره. . .

أبدا نحفظ قدره. . .

- ولذا كان لكل من كلينا اليوم عذره. .

لو مضى يكشف سره. . .

* * *

آه يا قلبي لكن. .

صرت أخشى

- مثل صوفي خشي لو باح سر العشق

أنكره حبيبه. . .

أترى لو بحت، ينكرني حبيبي ؟؟

- يا سؤالا جارحا في القلب

ما اسطعت أجيبه. .

أترى لو بحت، ينكرني حبيبي ؟

يا جراحاتي أجيبي. .

لا تجيبي. . . .

فعسى أشقى بحبي مرتين. .

# أمواج

تتلاطم الأمواج بين غدائر

هوج، ونهد لا يطيق قرارا

إني أطيق الموج يزحف هائجا

نحوي، وأخشى موجها المعطارا

جيش من الشهوات يزحف في دمي

من جندها فتسوقني مختارا

أين الرشاد وكل ما أزهو به

من حكمة قد أمنتني عثارا

ليل الغدائر والعطور وقبلة

مجنونة، أرخت عليه ستارا

ولئن أضعت الرشد في أمواجها

فلقد أصبت بفقده أوطارا

روحت عن ألمي بثغر باسم

وقطفت من روض الهوى أزهارا

والعيش كل العيش في أسطورة

تهب الجنون وتلهم الأشعارا

## عودتني. .

أن أراها وهي في شباكها مثل حمامة. .

تزرع الأحلام في دربي، وتعطي

نظرة دافئة في عمقها ألف علامة. .

ألف وعد مزهر في ظل " شامه ". .

فإذا القلب المعنى. .

نسي الحزن وغنى. .

رش في شباكها وردا، وفلا. .

ثم ولى. .

دخل المحراب صلى. .

أقفل الباب على غير هواها

لسواها. .

قال كلا – ألف كلا. .

عودتني أن أرى شباكها المفتوح يعطيني الضياء. .

وهي كالحوراء – طهرا. ونقاء. .

عودتني. .

فلماذا تخلف الوعد وتظلم. . ؟

ولماذا صرت يا شباك مظلم. . ؟

ولماذا. . ؟

ولماذا.. ؟

- آه لو أني أعلم. .

يا حبيبي. .

كنت قطرا بل عودي

فنما عودي وأزهر. .

كنت قنديلا شفيف الضوء في دربي نور. .

كنت دنياي، وأفراحي، وأكثر. .

فلماذا بعد تهجر ؟

ولماذا " شمعدان " الضوء في داري تكسر ؟

ولماذا صار خنجر ؟

- حبك القاتل في صدري خنجر. .

آه لو تعلم أني. .

كلما عذبتني. . أهواك أكثر. .

وبأن الحب من نارك،

من غدرك. . أكبر. .

زغاريد في علبة صفيح من ديوان

عبد المجيد القمودى

صيف ١٩٦٨

## عودة السندباد

بحق الذي أودع الحب فينا
وعلمنا الصبر والاحتمال. .
بحقي. .
بحقك. .
بحق الجمال. .
أنا لا أزال. .
احبك حبا، يفوق الخيال
بحق الذي صاغ جفنيك سحرا
ورمشا جرئ. .
بوجه صغير. . وسيم. . برئ. .
يكاد يضئ. .
وثغرا، به يستقر كخاتم
يشع احمرار كلون الشفق. .
إذا ما تبسم لي،
احترق. .

بحق الذي فتح القلب يوما

على نور حبك. .

وغير ممشى خطاي لدربك. .

وصيرني فيه روحا رقيقا. .

وطيرا طليقا. .

يهيم ويشدو

- له عشه بين مفرق شعرك. .

وبيدره ربوتان بصدرك. .

وينبوعه العذب، ثغرك. .

بحق الذي ضم شمل كلينا. .

- برغم التقاليد – نحن التقينا. .

فدثرتني بالأماني. .

وبوح الأغاني. .

- وقد كدت أنساك حين افترقنا

وكاد الهوى أن يصير خيالا

ويصبح ذكرى. .

ففي غربتي – ببلاد بعيده

أهيم بكل الدروب. .

تدوخني أكؤس من خمور

وتنعشني بوتقات الطيوب. .

تطوقني غانيات سكارى. .

- فتحن الجيوب. .

على مرمر، شوهته الأيادي

برسم الخطايا. .

بوصم الذنوب. .

- حسان يضعن من الحسن نصفا

بكأس معتق. .

ويدفن باقيه بأصباغ شتى. .

فما عدت أعشق. .

حكاياتهن وحتى

على دربهن لقائي. .

وعاودني ألف طيف شفيف. .

لوجه جميل. . ضحوك. . ظريف. .

- بلا صبغة شوهته،

نقي الجمال. .

بعيد عن الزيف، والابتذال. .

وألفيتني لا أزال. .

أحبك حبا يفوق الخيال. .

وعدت إليك،

وانتهت رحلة ( السندباد ). .

- كما يدرك التائهون دروب الرشاد. .

رجعت إليك،

وكفرت ذنبي. .

- ويعلم ربي. .

رجعت إليك. .

لأفرش رمشي. .

لتمشي عليه، وتمشي. .

ويبقى على الجفن ظلك

يكحل عيني. .

ويجعل بينك وصلا – وبيني. .

رجعت إليك، ويكفينا. .

سماء ضحوك، وبدر يمد السنا. .

وماء من البئر عذب، زلال. .

وتمر بنخله،

- تطل على بيتنا. .

تلون جدرانه بالظلال. .

حبيبي. . ويكفينا. .

نمرغ وجها على تربة

- عليها ولدنا. .

وشب صبانا. .

وعاش كلانا. .

سنين طوال. .

يقدس فيها الوفا، والجمال. .

من ديوان قصائد بين يدي وطني

لعبد المجيد القمودي

نوفمبر ١٩٦٥م

# قصائد من شعر

# "علي عبد الشفيع الخرم"

نجوى صورة من ديوان (سلة الأنعام).

يارب عينيها .

تدفق.

سطوع .

وأنا احتراق العشب.

## نجوى صورة

من ديوان (سلة الأنغام)

" قالت:- إليك بصورتي التي ستكون مغنية عن اللقاء في الوقت الحاضر وكل ما يخطر بالنا وكل ما يفعله المحبون تحت ستار الظلام سنفعله كل ليلة في صورتك وصورتي حينما يأوي كل منا إلى فراشه ". فناجيت صورتها بهذه الأبيات:-

حدثي بالله يا صورتها    أنت رمز للتي أحببتها

وانظري نحوي بعينيها ففي    أفق عينيها حياة عشتها

وابسمي لي يا شفاها طالما    رسمت دنياي في بسمتها

واهمسي لي أنت يا صورتها    آنسي نفسي في وحشتها

واسمحي في قبلة أطبعها فكأني حينها. . قبلتها

واسمعي العهد بأني حافظ حبها عمري كما عاهدتها

واسمعي نجواي أنت رمزها من حديث الروح في خلوتها

هي أصداء صلاة طالما تحت جنح الليل قد رتلتها

وهي أنغام لحون ساحر ات فوق قيثار الهوى وقعتها

وأعيدي لي صفحة عمر مقبل من حياة كنت قد صورتها

في خيالي من رياض حفلت بصنوف الزهر في روعتها

وثمار ناضجات رضعت من سنا الطهر وإني نلتها

وطيور صادحات غردت ردد الكون صدى غنوتها

إنها آمال نفسي أينعت أضمن الجنة لو حققتها

## يارب عينيها

وهى قصيدة أهداها لى الشاعر مخطوطة لم تطبع أثناء عملى بكلية الآداب بجامعة درنة بالجماهيرية الليبية وكان بصحبتى الدكتور إبراهيم أبو تبر من مدينة البيضاء الليبية.

لهذا الصبا الزاهي أذوب تلهفا برجفة ظمآن تدارك مرشفا

لهذا الفتون الغض أسري توهجا بحرقة ملهوف ألح وأسرفا

لقد أبدع الخلاق عينيك آية وخبأ سرا فيهما لي تكشفا

عوالم ألوان وضوء تماوجت وعطر بساتين تضوع أحرفا

تعابير وحي تشرب الروح همسها وتبعث إحساسا سطوعا مرفرفا

لقد ذهلت نفسي لدي أن هفت لها معان بعينيك استكانت تلطفا

سرى خدرا أفضى كياني بسكره
إلى موجة نشوى من البوح في الخفا

تلبس عشقي آدميا أكونه
الا فاقرئيني إن أردت التعرفا

فإني كتاب نابضات حروفه
بكل معاني الحب لبا وزخرفا

نسجت من الأحلام دنيا أعيشها
بروحي، ولكن لست أعدم موقفا

فإن شف مني الحسن فإنسابسحره
رقيقا كأنفاس الربيع وأرهفا

فإني جهير الصوت بالرأي واضحا
رموزا وايحاء ولمحا تعففا

ألين لمن رقت على الخلق نفسه
وأقسوعلى قاس بغي وتعجرفا

ولكنني في غمرة البأس أنثني رضيا إذا شع السكون مكثفا

ليحمل بشرى نظرة تستفزني إذا ما سرى إشعاعها في واختفى

عشقتك يا روحا أهاجت بعشقها صبيا بنفسي للبراءة كم هفا

لعينيك هذا الكون ينثال بهجة فكيف بمن بشرته فتصوفا

يذوب فناء فيك يحرق وحده بخورا لرؤيا معبد فيك طوفا

هتفت وقد أزهرت في خصب لهفتي حنينا تفشى في دمائي لأهتفا

أيارب عينيها وتدري بحرقتي إليها ، فعفوا أنت أكرم من عفا

## تـدفق

يا بهجة العمر ماذا بعد الذي نخفيه

من لهفة الشوق رؤيا تفشي الذي نخفيه

ظمآن ياكل عشقي قلبي ، فما يكفيه

لو نال نبعك وردا إلا الفناء بفيه

* * *

له أعدي شفاه تعودت أن تنيله

رحيقها في ارتعاش ما منه يشفي غليله

فإنها رشفات في باغتات قليلة

كل الذي أفسحته تلك الظروف البخيلة

* * *

أواه .. لو أن لقيا		تمت كما نتمنى

في غابة العشق نحيا		إلفين كم نتغنى

ونغزل الشوق كوخا		يفيض نعمى وأمنا

لا خالس للنجاوي		أو من رأى ليظنا

* * *

لكم يحبك قلبي		وكم أذوب اشتياقا

لأنس قربك توفى		أهفو لأن نتلاقى

فإنها لحظات		تضويء الآفاقا

وتبعث الحلم همسا		يدثر الأشواقا

* * *

أنا محبك وحدي وإن أحبك غيري

فأنت سر اندفاقي رؤى بانفاس شعري

وأنت معنى ابتهاجي بعالم ألف يغري

فاسعى للقياي ضوءا مقطرا فوق ثغري

# سطوع

أي ابتهاج لي سعى
يزف هذا الأروعا

أصوتها ، أم عابق
من الشذى تضوعا

غرقت في أمواجه
شكلت أفقا أوسعا

تسكنني شرفته
غابة حلم ، أبدعا ....

نافذة ، شاهد منها
القلب كونا ما وعى

ماذا يقول العاشق
المذهول .. إن توزعا

أحسه في روحه
دغدغة .. ما أمتعا

في فورة الشوق
أضاع وجهه المقنعا

عرى خفاياه التي
خبأها تمنعا ...

تردد الأصداء
في أشواقه توقعا

لابد يا إشراقها
في لمحة أن تسطعا

القصيدة من ديوان مخطوط سلمه الشاعر لى بخط يده عام ٢٠٠٨، بعنوان [ ما تيسر من قصار القصائد ] .

## وأنا احتراق العشب

كيف انتظرت ولم تجيئي يا رفة النفس الدفئ

تمضي الدقائق مثقلات النبض ، في الخطو البطئ

وأنا احتراق العشب في إيماضة الشفق الوضئ

يختض بوح الشوق يا اسفي علي الحاني المسئ

كم قلت أن لها الختام بشاشة العمر الخبئ

فحزمت أمتعة السفار على مدى الظن الوضئ

زوادتي .. أنس لها مائي ، وإبريق الوضوء

لكن طيفك حاضر مطرا يشيع رؤي القروء

فلتغفري لي عفتي فلقد أتوب عن النسيء

مازالت الهفوات أصداء توسوس في نشوئي

فلتلغنمي كأسا لها ماض من العبق البرئ

أأنا أقول نجيتي لمست علي وهم هدوؤى

٢٢/٧/١٩٩٠م

# قصائد من شعر

# "خالد زغبية"

من ديوان السور الكبير .

من ديوان السور الكبير .

وكان لقاء

وكان لقاء

لقاء رائع ( خصب )

حملنا بذوره زمنا

بقلبينا

فديناه بروحينا

سقيناه بعينينا

تعهدناه مذ كان كنا صغيرين

وسورناه بالأحلام

وعوذناه بالذكرى

لكي ينمو

لكي يزهر

ومرت من سني عمرينا أيام

وأعوام

وكنا على لظى الحرمان مصلوبين

جرعنا الآه تلو الآه

سكبنا الحزن أنهارا

فصار الدمع مجراه

عبرنا الليل ملاحين

صغيرين

قطعنا الرحلة الكبرى

وقد أرهقنا البين

وشتتنا أليفين

ومرت من سنى عمرينا أيام

وأعوام

نمت بذرة

بدت زهرة

فكان لقاء

لقاء رائع خصب !

من ديوان السور الكبير لخالد زغبية

ط٣، سنة ١٩٦١م، ص١٢٢

## قصائد من شعر

## "محمد خليفة التليسي"

شموخ.

أسلمت للأقدر فيك مصيري

يا فتنة جلت عن التصوير

وتركت للأيام رسم طريقها

بالطول إن شاءت أو التقصير

ولربما امتد الطريق فزاد من

شوق الطليق للهفة المأسور

ولقد أمد الحبل لا عن رغبة

في الصبر لكن حكمة التدبير

فإذا جذبت جذبت عن متمكن

حسن التناول نافذ التأثير

فلتركبي الأمواج إن مصيرها

أن تستقر بشاطئ مسحور

ولقد أرى الأيام تكشف سرها

عن قيد آسرة وفك أسير

إني على وعد مع آفاقها

تلك البحور بصولة الموثور

في اللوح أقدار ستجمع بيننا

في يومنا، أو في الغد المنظور

ولقد ألاين أو أساير ثم لي

من صبوتي حكم الهوى المسعور

فإذا ركبت البحر ليس يهمني

هول الدوار وضجة المذعور

خوض الخضم الصعب أيسر مركبا

عندي من الإخلاد للميسور

والبحر تغريني به أمواجه

فتزيد من صلفي وعنف غروري

لا بد من عود إلى شطآنه

بالرائع المنظور والمغمور

إن طال بي زمني أراك قنيصتي

ورفيقتي في الصحو والديجور

أو فاتني حظ النوال فمغنمي

في الفن قد يسمو على التقدير

والسر في الأعماق ؟ كم من مبحر

عزماته خذلت عن الإبحار ؟

ورأى السلامة أن يعيش بشطها

في ظل مكرمتي وفضل ستاري

لا تقربي أفقي المحجب إنني

أخشى عليك مغبة الإعصار

من أين للعين الكليلة أن ترى

ما تحجب الأعماق من أسراري

يكفيك من سفري العميق غلافه

عنوانه، سطر من الأسطار

ومن النجوم الساطعات بريقها

ومن الرياض الفيح بعض نوار

ومن الجداول وهي ترتاد الدنا

ما يحتسي العصفور بالمنقار

ومن الخضم تلاطمت أمواجه

عصف الرياح وحيرة البحار

ولتقنعي أني حبوتك بعض ما

قد هزت الأنسام من أثماري

لن تفهمي كوني الرهيب وما به

من رائع أو سافل منهار

أنا إن أردت الحق بحر ساكن

أعماقه بحر وراء بحار

ولربما أغراك لطف ظاهر

فخدعت عن جمري وحرقة ناري

وتحجبت عنك الغيوب وخلفها

ما شئت من عنف ومن إصرار

خلف البحار الساكنات زعازع

وزلازل موصولة التيار

والحسن يجذبني إليه إذا نأى

عني وأفلت كالنسيم الساري

ولربما حطمت كل مهابتي

في إثره فعثرت أي عثار

قالت: أحبك قمة ممنوعة

وأحب فيك غوامض الأسرار

وأحب ما يدني وما يقصي وما

يغري وما تطويه من أفكار

وأحب ذاك العمق بحرا هادئا

وأحبه في الصخب والإعصار

وأحب ذاك النور يفلت من يدي

وأحسه في العمق من أغواري

إن كنت أنت البحر في أطواره

صفة الحليم وغضبة الجبار

أو كنت ذاك الطود يعلو شامخا

في وحدة الرهبان والأحبار

فأنا الرياض الغن في أفيائها

ري الظماء وراحة الأسفار

وأرى قوافلك المهيضة أرهقت

بالسير عبر مجاهل وقفار

فاسكن إلى روضي الجميل، فجنتي

ما شئت من ظل ومن أنهار

واقطف ورودي ما استطعت فإنها

كنز يقيك غوائل الإعسار

وامخر بحار العشق فوق مراكبي

ودع القياد لجارف التيار

ما نحن إلا ومضة من بارق

وشرارة في جذوة من نار

تعلو فتخمدها الرياح وينطفي

ما كان من وهج ومن أوطار

وغدا يغادرك الربيع كأنه

ما كان ملء السمع والأبصار

ويجف ذاك الغض من أغصانه

من بعد إيناع ومن إزهار

وتمر بي أين الشموخ ومجده ؟

خيلاؤه ؟ خبر من الأخبار

تلك الكؤوس كبيرها وصغيرها

نضبت ومات اللحن في الأوتار

أتلفت عمرك لا مثوبة عابد

حصلت فيه ولا مني الفجار

وصرفت خير العمر بين معابد

للفكر أو في هيكل الأشعار

والفن قد يثري النفوس وإنما

نبض الحياة أجل في الأقدار

لك أن تتيه بقمة ممنوعة

شماء عالية عن الأنظار

وتسد درب القلب عن طراقه

من كل غانية وذات سوار

وتلوذ بالقمم المنيعة علها

تحميك من متعاظم التيار

سينالك السيل الدفوق وتنهي

أسطورة الأغوار والأسرار

للقلب شأن غير شأنك في الهوى

سلم له تسلم من الأكدار

خلف المسموح القائمات طفولة

لم تخف عن حدسي وعن إبصاري

ستفك قيد العمر عن أسرارها

وتهد ما أعليت من أسوار

وتطالع الأفق الرحيب طليقة

مكشوفة، مرفوعة الأستار

لا القيمة الشماء تعلو عندها

كلا ولا الأغوار بالأغوار

تتوحد الأرواح إما مسها

حب يحقق رائع الآثار

# قصائد من شعر
# "علي فهمي خشيم"

## غــــني .

غنّي لي الليلةَ غنّي لي من عمق القلبْ
ضُمّيني يا حلمَ حياتي بدثار الحب
مُدّي عينيكِ الواسعتين إلى عيني
وضعي كفّيكِ الدافئتينِ على كفّي
ودعيني أتلو صلواتي لمقام الرب!

****

يا همسَ الليلِ المتلاحقِ عند الأسحارْ
يا فوحَ العطر المتناثر عبرَ النوّار
ما أبهى النظرَ إلى عينيكِ الواسعتينْ
ما أحلى اللمسةَ من كفّيكِ الدافئتين
ما أروَع أن يجرفني معكِ التيّار!

****

يتداعى الفجرُ إذا ابتسمتْ منكِ الشفتانْ
يتعالى البدرُ إذا احمرَّ.. احمرّ الخدّان
يتنامى في كفّيكِ الزَّهرُ الـمُخضل

# قصائد من شعر

# "أبو القاسم خماج"

دوامة عاشق

| | |
|---|---|
| عشقتُكِ.. لم يكن بُدّ | وخالط لهوَنا الجدُّ |
| وأصبح طيفُكِ النشوا | نُ في دنيا دمي يغدو |
| وأصبح للدُّنا وجها | نِ مُبْيضٌّ ومُسْودّ |
| أراكِ فتشرق الدنيا | ويخطف نورَها البُعد |
| وتنتفض المنى بالصد | رِ أنّى يُذكَر الصدّ |
| عشقتكِ رغمَ إحساسي | الذي يشتدّ يشتدّ |
| بأن خُطًى سأخطوها | إليكِ.. غداً سترتدّ |

# قصائد من شعر

# "محمد صدقى عبد القادر"

السكر الحلو المر .

السكر الحلو المر

لم قادتك المقادير، سطورا فى كتابى؟؟؟

وكزر فرَّ من عروته فوق ثيابى؟؟

وتصاوير حزينات،على لوحة بابى؟؟؟

لم قادتك؟؟ تساءلت؟ فقالت أنا مابى؟؟

أنت كالريح أتيت وذهبت

كسحاب صرت فى شكل قصور، وطيور بالأفق

وتشكلت ميادين، وأطفالا، وغابا يحترق

وغروبا وشروقا يأتلق

لم تأتين وتمضين، وتلقين على النار الحطب

وتذوبين حنانا،أو تثورين، ومن غير سبب.

فاتفقنا واختلفنا وتشاجرنا وعدنا للوئام

مثلما عادت إلى الأعشاش، أزواج الحمام

مثل شعر الحب يبقى نقشه فوق الرخام

ها أنا أشعر أنى فى ثيابى أحملك

وتطلين بأطراف يدى الاثنتين

وبمنديلى، ومن وسادتى أراك تبسمين

وتجيئين إلىَّ، من ثوانى ساعتى، ومن رسالة أخطها إليك.

من على كأس حليب بالصباح

وبرنات لمفتاحى بصندوق البريد

وتجيئين على صحن عشائى

وتشاركنى به على كتفى تغنين،تخطين بعنوانى رسالة.

وتريحين على يمناك رأسك

وترجين خطى ساعى البريد

حاملا منى جوابا، لخطابك

حين أخطو فى المطارات، وأجتاز حدودا ومدائن

لم أكن أحمل فى كفى جوازا للسفر

أنا لاأحمل فى يمناى إلا صورتك

وبها أقرأ أشعارى، حكاياتى الطويلة

وعليها أفرغ البحر من الماء، ليغدو بحر شهد ولبن

وبها هدمت أسوارك، أوقدت بقنديلك حبى

وبعينيك تعانقنا، أنا، أنت وربى

الأعمال الشعرية الكاملة مج١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع طرابلس،١٩٨٥.

ص٨٥٣

# التعريف بالمؤلف

الأستاذ الدكتور/ أيمن تعيلب.

أستاذ النقد الأدبى ووكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث/ جامعة قناة السويس.

الجنسية: مصرى مواليد محافظة الشرقية.

حصل على الماجستير عن: الاتجاهات التأملية فى شعر (جماعة أبولو)فى مصر كلية الآداب جامعة الزقازيق/ ١٩٩٠ و الدكتوراه عن: الاغتراب فى الشعر العربي الحديث/ المدرسة الواقعية كلية الآداب جامعة الزقازيق/ ١٩٩٦. وقد حصل على درجة الأستاذية فى النقد الأدبى عام ٢٠٠٧.

حصل على العديد من شهادات التقدير

شهادة تقدير من جامعة لانسانا كونتى بغرب أفريقيا/ جمهورية غينيا/ قسم اللغة العربية والحضارة،٢٠٠٨ .

شهادة تقدير من كليـــة الآداب جامعـــة القاهرة// فرع بنى سويف.عام ٢٠٠٥م.

شهادة تقدير من كليـة الآداب// جامعـــة عيـن شمس.عام ٢٠٠٧.

شهادة تقدير من كليـة الآداب/ قسم اللغة العربية،جامعة قناة السويس/ بالإسماعيلية ٢٠٠٨.

شهادة تقدير من جامعة القاهرة، مركز الداسات الأفريقية، ٢٠٠٩.

شهادة تقدير من كلية الإلهيات بمدينة بورصة بالجمهورية التركية،٢٠١٠.

شهادة تقدير من جامعة الأزهر الشريف،كلية اللغة العربية بالزقازيق،٢٠١١.

شهادة تقدير من كلية الآداب بالإسماعيلية ـ مركز التراث والحضارة ٢٠١٤.

شهادة تقدير من السفير الأندونيسى نور فايزى سونداى فى المؤتمر الدولى الثانى لمركز البحوث والدراسات الأندونيسية بجامعة قناة السويس.٢٠١٣.

شهادة تكريم من مؤتمر أدباء مصر العام عن النقاد فى مصر فى دورته السابعة والعشرين ٢٠١٥.

التسلسل الوظيفى

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الآداب والتربية، بجامعة عمر المختار بليبيا من عام ١٩٩٧ ـ ١٩٩٩. وعضو هيئة تعريب العلوم بالجامعة.

مدرس الأدب والنقد وعلوم الاتصال بجامعة الإمارات العربية المتحدة من ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٣.

أستاذا للأدب والنقد بجامعة جمال عبد الناصر بجمهورية غينيا بغرب أفريقا من ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٨.

رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب وعلوم الحضـــــارة بجامعة لانسانا كونتى بجمهورية غينيا.٢٠٠٧ .

أستاذ اللغويات النقد والأدب الحديث،بجامعة أولوداغ، بورصة ،الجمهورية التركية.

رئيس تحرير سلسلة (كتابات نقدية)، هيئة قصور الثقافة،القاهرة،٢٠١٢ وحتى الآن.

أستاذ النقد الأدبى بكلية الآداب، جامعة قناة السويس،٢٠١٢.

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحث العلمى،جامعة قناة السويس،٢٠١٤ وحتى الآن.

العضويات الأدبية

عضو اتحاد كتــاب مصـــر .

عضو جمعيــة النقد الأدبى المصرية .

عضو الجمعية المصرية للأدب المقارن.

عضو الجمعية المصــرية للسرديات.

عضـــو إيتيليــه القـاهــرة.

عضــو نــادى القصــة بالقاهرة.

عضو أمانة أدباء مصــــــر، ٢٠٠٧ .

عضو مجلس إدراة اتحاد كتاب مصر ٢٠١١.

رئيس لجنة الحريات باتحاد كتــــاب مصر ٢٠١١ .

رئيس الشعبة الأدبية باتحاد كتاب مصر ٢٠١٤.

له من الكتب المطبوعة.

القوس العذراء فى الخطاب النقدى المعاصر:دراسة فى أدب محمود محمد شاكر،دار الآداب، القاهرة،٢٠٠٦.

الشعرية القديمة والعقل النقدى المعاصر، نحو تأسيس منهجى تجريبى،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٩.

خطاب النظرية وخطاب التجريب،تفكيك العقل النقدى العربى،سلسلة كتابات نقدية، العدد ١٩٤،القاهرة،٢٠١٠.

أشكال السرد عند الكاتب السولوفينى المعاصر إيفالد فليسار:قراءة فى آليات بناء القصة القصيرة،دار أرابيسك،القاهرة، الطبعة الأولى ،٢٠١٠ .

من تناص النصوص إلى تناص الحضارات، الطبعة الأولى،دار نهـر النيل للنشر،مؤسسة نجلاء محرم،القاهرة،٢٠١٠.

حمد آدم وشعرية التخييل الشذرى التشعبى،سلسلة أعلام الشعر العربى المعاصر،ط دار المعرفة،دمشق، سورية،٢٠١٠.

قصيدة الثورة فى الخطاب الشعرى المعاصر: جدل الشعر والسلطة، دار العلم والإيمان، القاهرة، ط١ ٢٠١٠.

أسطورة النسر فى الخطاب الشعرى المعاصر،من نص الأسطورة إلى أسطورة النص، دار العلم والإيمان،القاهرة،ط١، ٢٠١٠.

شعرية الظل ومقاومة النسق الثقافى،مقاربات معرفية وتخييلية لقصيدة النثر العربية، دار العلم والإيمان،القاهرة،ط١، ٢٠١٠.

منطق التجريب فى الخطاب السردى المعاصر،دار العلم والإيمان،القاهرة،ط١ ٢٠١٠.

الثورة والوجود: أسئلة الثورات العربية:هيئة قصور الثقافة،سلسلة إصدارات خاصة،القاهرة ، ديسمبر، ٢٠١١.

عبقريـــة الحــب، كتاب دار الهلال، عدد ديسمبر، ٢٠١١.

فى شعرية الثورة، نحو تأسيس معرفى تخييلى للثورات العربية،سلسلة كتابات خاصة، وزارة الثقافة،هيئة قصور الثقافة،٢٠١٠ .

له قرابة التسعين بحثا منشورة فى المجلات المحلية والعربية والدولية.